التصوف الإسلامي لّه منابعه وأطواره ه

دكـــتور
محمد عبدالمنعم عبدالسلام حسن
مدرس العقيدة والفلسفة
جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة
فرع الزقازيق

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملأ السموات وملأ الأرض وملأ ما بينهما وملأ ما شاء ربنا من شئ بعد إله الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كلمة حق قامت عليها السموات والأرض وبها أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفوته من خلقه وحبيبه المبعوث بالدين القويم والهادي الى الصراط الله المستقيم أرسله الله رحمة للعالمين وإمامًا للمتقين وحجة على الخلائق أجمعين وبعد ٠

يمتاز العصر الذي نعيش فيه بأنه عصر مادي بلغت فيه الحضارة المادية مبلغاً كبيراً من التقدم وقد صحب هذا التقدم المادي تقدم آخر في الحياة الفكرية التي تشعبت نواحيها ولكن هناك ناحية أخرى لها أهمية بالغة في حياة الإنسان هي الناحية الروحية التي أثراها الإسلام وأولاها أعظم اهتمام أقول للجانب الروحي أثر بالغ في التربية، فالتربية الجسدية وحدها لا تكفى لصلاح الإنسان واستقامته وكما أن للجسد غذاء فاللروح أيضاً غذاؤها ونماؤها خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وأهملت فيه الروح ٠

والتصوف من حيث معناه العام هو نزعة روحية عالمية جوهرها الزهد وغايتها التقرب إلى الملأ الأعلى مصدر كل خير وفيض وإشراق وقد وجدت هذه النزعة مع الإنسان من قديم فالتصوف مذهب من مذاهب المعرفة البشرية ومذهب من مذاهب السلوك الإنساني عرفهما الإنسان منذ القدم ولم تكن هذه النزعة الاشراقية التى وجدت فى القديم مأمونة النتائج لعدم استناد أصحابها إلى نور من الوحي يضيء لهم الطريق ويعصمهم من الوقوع فى الخطأ والزلل

وصدق الله القائل فى كتابه العزيز فى سورة الحديد. " وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا " سورة الحديد آية ٢٧ "٠

لا ينكر الدارسون أن التصوف قد أثرت فيه إلى حد ما عوامل خارجية أجنبية عن الفكر الإسلامي إلى جانب العوامل الداخلية ٠

وأن هذا الجزء من تراث المسلمين أصابه قسط كبير من الظلم أضف إلى ذلك أنه يجب ونحن نقرأ هذا التراث الصوفي أن نقرأه فى ضوء الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: الحاجة الى تنمية الطاقة الروحية لدى الإنسان

الحقيقة الثانية: الدور التاريخي للتصوف الإسلامي.

الحقيقة الثالثة: أثر التصوف في العلماء والمصلحين.

فهؤلاء الذين ينكرون اصل التصوف ويقفون منه موقف العداء مخطئون فالتصوف منهج اسلامي، نعم شابته بعض الشوائب ولكننا إذا ساهمنا في تنقية مما علق به فإننا نستطيع أن نحقق للتصوف قفزة كبري ومن هنا وجب علي كل من يكتب في التصوف أن يتناول أهم قضاياه الحقيقية مثل التفرقة بين التصوف السنى والفلسفي والتصوف العلمي والنظري ومصادره والتفرقة بين الصوفية الحقة وأدعياء التصوف وغير ذلك ويجدر بنا ان نعطي لمحة سريعة عن مفهوم التصوف٠

المبحث الأول
مفهوم التصوف

مفهوم التصوف في الاستعمال اللغوي:-

أول مشكلة تثار بالنسبة الي التصوف الإسلامي هي مشكلة اسمه من أين اشتق شأنه شأن علم الكلام وهي مشكلة قديمة نجدها تثار في أقدم ما لدينا من كتب في التصوف الإسلامي مثل كتاب " اللمع" لأبي نصر السراج المتوفي ٣٧٨هـ ٩٨٨م ثم تناولها من بعده من كتبوا في التصوف مثل " الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيربالتى كتبها فى عام سـ ٤٣٧هـ" يقول السراج في تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلي ظاهر اللبسة لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء و الأصفياء [١]

فرأيه إذن أن اسم الصوفية مشتق من الصوف بوصفه اللبسه الغالبة علي هؤلاء وأنه اسم قديم قد وجد حتي قبل الإسلام،ورأى السراج هذا في اشتقاق أو في سبب التسمية بالصوف والصوفية هو أرجح الآراء وإن طعن فيه القشيرى علي أساس أن الصوفية لم يختصوا بلبس الصوف دون غيره من الأقمشة ٠

والقشيري المتوفى ٤٦٦ هـ يري أن هذا الاسم انتشر قبل سنة مائتين للهجرة ٨١٥م

أما الآراء الأخرى الواردة في المصادر العربية فبعيدة الاحتمال ونذكر أهمها هنا علي سيبل الاستقصاء:-

١-منها أنهم سموا بذلك نسبة إلي أهل " الصُّفة " وهي " المقعد " وكان لقباً أعطى لبعض فقراء المسلمين في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ممن لم تكن لهم بيوت يأوون إليها فكانوا يأوون إلى مقعد مغطى خارج المسجد

(١) اللمع ص٤٠ لأبي نصر السراج الطوسي بتحقيق دكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠هـ ١٩٦٠ م .

الذي أمر الرسول ﷺ ببنائه فى المدينة، والنسبة إلى الصفة خطأ لأنه لو كان كذلك لقيل " صُفيِ ".

٢-ومنها أن اسم الصوفية مشتق من " الصفاء " واشتقاق الصوفى من الصفاء بعيد فى مقتضى اللغة.

٣-ومنها أنهم سموا صوفية نسبة إلى الصف لأنهم فى الصف الأول بين يدى الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه ووقوفهم بسرائرهم بين يديه، والمعنى صحيح ولكن اللغة لاتقتضى هذه النسبة إلى الصف لأنه لو كان كذلك لقيل "صَفِيّ ".

٤-ومنها أنهم سموا بذلك نسبة إلى الصفوة من خلق الله وهو خطأ لأنه لو كان كذلك لقيل "صفوى ".

٥-ومنها أنهم ينسبون إلى بنى صوفة وهى قبيلة بدوية من العرب كانت تجاور مكة وكانت تخدم الكعبة فى الجاهلية، وهذه النسبة وإن كانت مناسبة من جهة اللفظ فإنها ضعيفة لأن هؤلاء غير مشهورين.

وكما لاحظ القشيرى بحق فإن هذه الآراء لايشهد لها اشتقاق من جهة العربية ولا قياس وكلها بعيدة من جهة القياس اللغوى.

ولكن نسبة التصوف إلى لبس الصوف رأى انعقد عليه إجماع آراء المتخصصين فى الدراسات الصوفية من علماء المسلمين قديما وحديثا " [1].

---

(١) الرساله القشرية ص ٢٧٩: ٢٨١ لعبد الكريم بن هوازن القشيرى اليسا بورى٠تحقيق معروف زريق وعلى عبد الحميد٠دار الخير ط الثانية ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م واللمع صـ٤٠ ،٤١ والتعرف لمذهب أهل التصوف صـ ١١:٩لأبى بكر محمد بن إسحاق الكلا باذى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط إلأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م وتاريخ التصوف الإسلامى صـ ٩,٨ تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوى= =الناشر وكالة المطبوعات ٠ الكويت ٠ وأصول التصوف صـ ٢٢ در عبدالله حسن زروق ٠ مكتبة الزهراء ط الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م ٠

تعريفه بالحد:ـ

إذا انتقلنا من مشكلة اسم التصوف وأصل اشتقاق اللفظ إلى مشكلة تعريفه بالحد وجدنا أنفسنا بإزاء حشد هائل من التعريفات توضح مدى اختلاف الناس قديماً وحديثاً فى معنى التصوف وكل تعريف منها ينحو إلى نحو خاص وشاهد ذلك ما نجده فى كتاب ((الحلية)) لأبى نعيم وهو كتاب مشهور من أجمع ما كتب فى التصوف رجالاً ونعوتاً وأقوالاً وحكماً وتعريفات وقد ترجم صاحبه لأكثر من ثمانمائة شخصية صوفية من رجال ونساء ترجمة تختلف اختلافاً بيناً فى الإيجاز والإسهاب وهو يذكر فى كل ترجمة معنى أو أكثر من معنى للتصوف يختلف عما يذكره قبلاً أو بعداً ٠

والذى نراه فى تأويل هذا أن التصوف أحوال وأذواق ومقامات تتفاوت فيما بينها تفاوت أحوال ومقامات ومشارب أصحابها.

ونجتزئ هنا بشواهد من هذه التعريفات:-

١- سئل أحمد الحريرى عن التصوف فقال: الدخول فى كل خلق سنىّ والخروج من كل خلق دنى ٠

٢- وسئل الجنيد عن التصوف فقال: أن يميتك الحق عنك ويحييك به) وقال أيضا: الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولايخرج منها إلا كل مليح ٠

٣- وقال الشبلى: التصوف الجلوس مع الله بلا همّ ٠

٤- وقال معروف الكرخى: التصوف هو الأخذ بالحقائق والبأس مما فى أيدى الخلائق٠

٥- وقال محمد بن على الكتانى: التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء ٠

٦- ويلخص السراج تعريفات الصوفية بأن الصوفية هم العلماء بالله وبأحكام الله العاملون بما علمهم الله تعالى المتحققون بما استعملهم الله عز وجل الواجدون بما تحققوا الفانون بما وجدوا لأن كل واحد فنى بما وجد وهذه التعريفات ترجع إلى صوفية من القرنين الثالث والرابع الهجريين وتتسم بالطابع العملى السلوكى ولاتشير الى الجانب المتعلق بالمعرفة كما أنها لم تعّرف بعد علاقه الاتحاد أو الحلول أو حدة الوجود فيما بين الله والصوفى (١) .

وكما اختلف الناس فى معنى التصوف اختلفوا فى تحقيق ((هل التصوف علم من علوم الإسلام الأصيلة ؟ أو هو علم من العلوم الطارئة فى تاريخ الإسلام ؟

أو هو طريق من طرائق السلوك فى الحياة اختطها طائفة من الناس بعد أن نصبوا معالمها وأقاموا مناراتها من أصول الشريعة المطهرة ؟

يقول العلامة ابن خلدون ((هذاالعلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة وأصلة أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل علية الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة)) (٢) .

(١) الرسالة القشيرية صـ ٢٨٠ ، ٢٨١ واللمع صـ٤٥ ،٤٧ ، وتاريخ التصوف الإسلامى صـ ١٥: ١٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون جـ ٣ ص ١٠٦٣ لابن خلدون تحقيق على عبدالواحد وافي ط . الأولى سنة ١٣٧٩ هـ سنة ١٩٦٠م

والمتأمل فى عبارة ابن خلدون يجدها تحدد المقصود من التصوف فى الإسلام تحديداً يقرب الفواصل بين التصوف العملى والتصوف النظرى[1] .

(١) التصوف في الإسلام، منابعه وأطواره، ص ٦، ٧، د. محمد الصادق عرجون، ط مكتبة الكليات الأزهرية، سنة ١٩٦٧ م.

المبحث الثاني

التصوف الإسلامى وتطوره

قلنا سابقاً إن لفظة ((تصوف)) لم تكن معروفة فى العهد الأول من الإسلام ثم ظهرت بعد ذلك وكان لها زيوعها وانتشارها وقد أطلق لفظ ((الصوفى)) بادىء الأمر مرادفًا للزاهد والعابد ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين مع مراعاة أحكام الشريعة وهذا المعنى كان عاماً فى الصحابة والتابعين و تابعيهم خلال القرن الأول ومعظم القرن الثانى الهجرى إلاّ أن هذا اللفظ ((الصوفى أو المتصوف)) لم يطلق إلا عند منتصف القرن الثانى الهجرى يقول ابن خلدون ((وأصله– أى التصوف)) أن طريقة – هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة – الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً فى الصحابه والسلف)) [1]

وكان القرآن الكريم والسنة الشريفة وحياة الرسول ﷺ هى المعين الأول الذى استقى منه هذا الرعيل الأول تجربة حياتهم الروحية، وهكذا بدأ التصوف أولاً فى صورة من التنسك والعبادة والزهادة وقضى متصوفة الإسلام على هذا نحو قرنين من الزمان شهدا الكثير من زهاد الصحابة والتابعين وتابعيهم ٠

هذا وقد مر التصوف فى الإسلام بمراحل يمكن عرضها على النحو التالى:–

١ـ التصوف فى القرنين الأول والثانى الهجريين:ـ

(١) المقدمة صـ٣٨٩ لابن خلدون رحمه الله تعالى ٠

يتميز التصوف فى تلك الفترة بالبساطة والبعد عن التعقيد وتأثره إلى حد بعيد بالبيئة الإسلامية الصحيحة فهو يقوم على العبادة والنسك والزهد واتباع السلف الصالح والمحبة والإخلاص والمجاهدة والتمسك بأحكام الشريعة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها ويغلب على أفراد هذة الفترة تسميتهم بالنساك أو الزهاد أو العباد أو البكائين وكلها أسماء تدل على معنى واحد هو الزهد فى الدنيا .[1]

وقد وجد فى هذه المرحلة ثلاث تيارات للتصوف العملى وهى:-

أ- تيار ((الزهد)) ويطلق مصطلح الزهد على الناحية العملية التى يحياها العابد من تقشف فى المأكل والمشرب والملبس ومن تقوى وورع ومراقبة لله وخشية له ومحبة لله وتوكل عليه وغير ذلك وليس بشرط أن يكون الزاهد فقيراً لايملك ولكن الزاهد: هوالذى لايَمْلك ولا يَمْلك وإن كان مالكاً

فالزهد: هو انصراف الرغبة عن متاع الدنيا وزينتها إلى ماهو خير من ذلك من متاع الآخرة وما فيها، ولم يقف الزهد عند مظهره الخارجى فقط بل تعدى ذلك إلى أعمال القلوب من التقوى والورع والمحبة والتوكل ... الخ.[2]

هذا وقد يطلق على الزهد فى هذه المرحلة اسم التصوف بالمعنى الأول فيكون لب الإسلام وروحه وحقيقته صدر عن الإسلام أساساً ومنهجاً ووسيلة وغاية

وقد كانت هناك عوامل أدت إلى نشأة الزهد فى الإسلام ولعل أهمها:-

---

(١) التصوف الإسلامى ((تاريخه ومدارسه)) صـ ٢٤ أحمد توفيق عباد .

(٢) قوت القلوب صـ ٤٤٢: ٤٤٥ لأبى طالب المكى . والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه حـ١ صـ ١٦٥ ، ١٦٦ .

العامل الأول:– القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف: فمن الآيات التى تشير إلى فناء الدنيا وضرورة الزهد فيها قوله تعالى ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) .[1]

ويصور القرآن طبيعة الإنسان فى الميل إلى شهوات الدنيا فى مثل قوله تعالى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧))) [2]

وحسبنا أن نشير إلى بعض الأحاديث النبوية التى تحث على الزهد فى الدنيا ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)) [3]

((وقوله ((يقول العبد مالى إنما ماله من حاله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أوأعطى فاقتنى[4] وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)) .[5]

وغير ذلك على أن الزهد فى الإسلام لم يكن يعنى ترك الدنيا بالكلية وإنما يعنى

---

(١) سورة الحديد الآية ١٩.

(٢) سورة الأعلى الآيات من ١٤: ١٧

(٣) صحيح مسلم وانظر أيضاً الأحاديث الواردة فى الزهد من كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ط القاهرة سـ ١٣٣٤ طـ١٨٩ وما بعدها .

(٤) فأقنى بالتاء أى ادخر ثواب هذا العطاء لآخرته وفى بعض الرويات فأقنى: أى فأرضى الذى أعطاه والحديث.

(٥) صحيح مسلم جـ٨ صـ ٢١١ هامش .

الاشتغال بها مع التهوين من أمرها فلا تكون معبودة للناس ومحلاً لتنافسهم عليها

تنافساً يشيع بينهم البغضاء والحقد بدلاً من المحبة والتعاون وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه عن المبالغة فى الزهد المتطرف المتجاوز للحد المألوف لما تتطلبه أحكام الشرع لأن هذه المبالغة منافية لروح الإسلام وقد شهد بهذا بعض المستشرقين وهو جولدزيهر فى كتابه ((العقيدة والشريعة فى الإسلام)) .[1]

العامل الثانى:الأحوال السياسية والاجتماعية:

كان للخلافات السياسية بين المسلمين منذ أواخر عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه أثر فى مجال الحياة الدينية والسياسية الإجتماعية لمسلمين وبدأت تظهر العصبية القبلية واستمرت الخلافات السياسية فى عصر الإمام على بن أبى طالب وانقسم المسلمون بعد ذلك إلى أمويين وشيعةوخوارج ومرجئة وعند حدوث الفتنة بين الحسن بن على والأمويين وتنازل الحسن لمعاوية وهناآثر بعض أنصار الحسن الاعتكاف فى منازلهم والاشتغال بالعلم والعبادة

واستشعر بعض الصحابة خطورة هذا الجو المشحون بالخلافات بين الفرق الإسلامية والإضطرابات السياسية فآثروا أن يقفوا من الفرق المتنازعة موقف الحياد وابتعدوا عن الفتنة وآثروا حياة العزلة وهم بهذا كانوا يتجهون إلى نوع من الزهد.[2]

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى صـ ٦٦ والعقيدة والشريعة فى الإسلام صـ١٣٤: ١٤٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون صـ١٠١ والفصل جـ٤ صـ١٥٣ لابن حزم وفرق الشيعة صـ٤ للنوبختى.

ومن هنا نعلم أن اضطراب الأحوال السياسية كان من شأنه فى ذلك العصر أن يدفع بعض المسلمين منذ وقت مبكرإلى إيثار حياة العزله والعبادة تورعاًعن الانغماس فى الفتن السياسية ٠

يضاف إلى ما تقدم أن العصر الأموى كان بحق عصر إراقة الدماء حيث انتهكت فيه حرمة مكة والمدينة وقد تغيرت حياة المسلمين الاجتماعية فى العصر الأموى عما كانت عليه فى عهد النبى ﷺ والخلفاء الراشدين فقد فتح المسلمون بلداناً كثيرة وغنموا كثيراً وبدأ الثراء يظهر فى المجتمع الإسلامى مقترناً بحياة الترف وما يستتبعه من انحراف خلقى وهنا وجد من المسلمين الاتقياء والذين رأوا من واجبهم دعوة الناس إلى ما كان عليه السلف من تقلل وزهد وورع وعدم الانغماس فى الشهوات ومن أمثلة ذلك الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى ومن التابعين سعيد بن المسيب المتوفى سـ٩٠ هـ٠[١]

وقد انتشرت حركة الزهد الإسلامية إبان القرنين الأول والثانى الهجريين فى اتجاهات مختلفة وهى ٠

١ـ مدرسة المدينة وكان منها أبو عبيدة بن الجراح المتوفى سـ ١٨ هـ وأبو ذر الغفارى المتوفى سـ ٣٢ هـ وسلمان الفارسى المتوفىسـ٣٢هـ وغيرهم ومن تابعى مدرسة المدينة المشهورين بالزهد سعيد بن المسيب المتوفى سـ ٩١ هـ ٢– مدرسة البصرة وهى تنقسم إلى مدرستين الأولى مدرسة البصرة الأولى: وأبرز أولئك الزهاد أبو موسى الأشعرى ٠

(١) فى التصوف الاسلامى وتاريخه صـ٤٦ لينكسلون ومدخل إلى التصوف الإسلامى صـ٦٨: ٧١ ٠ د أبو الوفا التفتازانى ٠

الثانية:مدرسة البصرة الثانية:وأبرز أولئك الزهاد الحسن البصرى المتوفى سـ ١١٠هـ [١] .

ومن هنا نعلم أن أضطراب الأحوال السياسية كان من شأنه فى ذلك العصر أن يدفع بعض المسلمين منذ وقت مبكر إلى إيثار حياة العزلة والعبادة تورعاً عن الانغماس فى الفتن السياسية

٣ -**مدرسة الكوفة**:وقد ظهر من شيوخ الزهد في القرن الأول الهجرى بالكوفة الربيع بن خثيم المتوفى س٦٧ هـ وسعيد بن جبير الذى مات مقتولاً س ٩٥هـ وهو من التابعين.

٤ـ **مدرسة مصر**: ويذكر من زهاد مصر سليم بن عتر التجيبى ومنهم عبد الرحمن بن حجيرة وهذه المدرسة يبدو أنها كانت سلفية الاتجاه كمدرسة المدينة [٢] .

بـ: تيار الخوف:ـ

يعرف الإمام القشيرى الخوف بقوله((هو معنى متعلق بالمستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل، والخوف من الله تعالى: هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما في الدنيا وإما في الآخرة [٣].

(١) الطبقات الكبرى جـ١ ٢٢ للإأمام الشعرانى والتصوف الثورة الروحية في الإسلام صـ٨٧ ونشأة الفكر الفلسفى في الإسلام جـ ٣ صـ١٢٢:١٠٥ .

(٢) الطبقات الكبرى جـ١ صـ٢٥ للشعرانى ووفيات الأعيان ط صـ ٢٥٨:٢٥٦ لابن خلكان وكتاب الولاة وكتاب القضاة صـ٣٠٦ وما بعدها تحقيق رأفت حسن ط بيروت سـ١٩٠٨ هـ ومدخل إلى التصوف الإسلامى صـ٨٠:٧٨

(٣) الرساله القشيريه صـ ٣٠٧ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود رحمه الله تعالى.

وقد فرض الله سبحانه على العباد أن يخافوه فقال تعالى ((وَخَافُونِإِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) ٠[١]

ولقد كانت أميز ظاهرة لدى عباد البصرة هو الخوف والحزن وطريق الخوف والحزن وأداتهما البكاء، وقد بدأ الحزن والخوف والبكاء لدى أوائل هؤلاء العباد عامر ابن عبد قيس بل دعا إليه شيخ قراء البصرة أبو موسى الأشعرى ثم وصل كل هذا –الخوف والحزن والبكاء إلى مداه لدى أبو سعيد الحسن أبى الحسن البصرى، ولد الحسن رضى الله عنه بالمدينة – المنورة سـ٢١ هـ و كان أبواه لرجل من بنى النجار كما أخبر الحسن عن نفسه وتوفى سـ١١٠ هـ ٠ [٢]

وكان رضى الله عنه مثلاً صادقاً للحياة الروحية الزاهدة العابدة التى عاشها الرسول ﷺ والصحابة والتابعين متأسياً بهم ومتبعا غير مبتدع، وقد حفلت حياته الطويلة بالزهد والورع والخوف والحزن حتى كأن النار لم تحلق إلا له)) ٠[٣]

كان الحسن شخصية فذة متعددة الجوانب فقد كان فقيهاً ومحدثاً ومفسراً ومتكلماً وواعظاً ومتصوفاً إلى آخره فكان بحق موسوعة علمية ٠

وهو يرى أن العلم والتفقه في الدين من شأنه أن يؤدى إلى الخشية والخوف من الله)) ٠

((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء)) ٠[٤]ولقد جعل الحسن هذه المقالة نصب عينيه وهى إحدى خطبه ﷺ حيث قال ((أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى

(١) سورة آل عمران الآيه ١٧٥.
(٢) نشأة الفكر الفلسفى جـ ٣ صـ١٣٨ ٠
(٣) طبقات ابن سعد جـ٧ صـ١٥٧.
(٤) سورة فاطر الآية ٢٨ ٠

معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ٠ فإن العبد بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله فاعل به و أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار)) ٠ (١)

والذى دعاه إلى هذا الخوف والحزن عدة أشياء وهى: –

١–**التفكر في الدنيا:** فقد كان رضى الله عنه يشبه الدنيا بأنها حلم فيقول ((الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت والعباد في أضغاث أحلام)) (٢)

وهو لا يحتقر الدنيا لذاتها وإنما يحتقر نعيمها ويحذرمن الغرور بها ويدعو إلى الانتفاع به لأنها مزرعة للآخرة ، وهو في هذا يستلهم معنى حديث الرسول ﷺ " من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أ مره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة".(٣)

٢–**التفكر في القرآن و التدبر لأياته**، والوقوف عند عبره وعظاته فقد جعل رحمه الله القرآن مفتاح الحزن المقيم ولم يبق من ذكريات العصر الأول إلا القرآن يقول ((والله لايؤمن عبد بهذا القرآن إلا حزن وذبل ونصب)) ويكرر هذا المعنى كثيراً فيقول٠ والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به

(١) الكامل في اللغة والأدب جـ١ صـ ١٢٢ للمبرد ط القاهرة سـ ١٩٥٦ م والحديث.

(٢) سيرة عمربن عبد العزيز صـ١٢١ لابن الجوزى نقلاً عن حركة التصوف الإسلامى د٠ –محمد ياسر شرف ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب سـ ١٩٨٦ ٠

(٣) رواه بن ماجة والطبرانى ٠

ليطولن في الدنيا حزنك ويشتد في الدنيا خوفك وليكثرن في الدنيا بكاؤك)) .[1]

٣- التفكر في الموت وما يأتى بعده من حساب وجزاء وعرض على الله ووقوف بين يديه يقول رضى الله عنه ((لقد فضح الموت الدنيا فلم يترك فيها لذى لب فرحاً)) . [2]

لهذا ولغيره كان الحسن دائم الفكرة كثير العبرة لأن التفكر في نظره يدعو إلى الخير والعمل به والندم على الشر والدعوة إلى تركه وهو يرى أن الزهد باليقين وأن اليقين بالتفكر والتفكر بالاعتبار فيربط بين التفكر والاعتبار واليقين والزهد برباط وثيق)) . [3]

ج- تيار الحب: المحبة كما عرفها البعض هى: إيثار المحبوب على جميع المصحوب)) [4]

والحب دائماً مقرون بالخوف في نظر الصوفية – لأن المحبة لا تصدق حتى تكون على خوف من فقدها أو قلتها أو النقص فيها أو عدم اكتمالها فكل محب لله خائف وليس كل خائف محباً .

وكانت أهم شخصية مثلث هذا التيار خلال القرن الثانى الهجري هى السيدة أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية)) .[5] ولدت في

---

(١) الحلية جـ٢ صـ ١٤٩ لأبى نعيم ط دار الكتاب العربى بيروت ونشأة الفكر الفلسفى في الأسلام جـ ١ صـ ١٣٤ .

(٢) الحلبة جـ٢ صـ١٤٩ .

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز صـ١٢٤ لابن الجوزى ط القاهرة سـ١٣٣١ هـ وحركة التصوف صـ ٧٩ د/ محمد ياسر شرف والتصوف لإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ صـ١٧٦: ١٧٨ .

(٤) الرسالة القشيرية صـ٣٢١ للإمام القشيرى.

(٥) وفيات الأعيان جـ١ صـ ٢٢٧ والإسلام والتصوف ٦٨ حاشية.

البصرة سـ ٩٥ عزفت عن الزواج وانقطعت للعبادة بعد مرض برأت منه وتوفيت سـ ١٨٥ هـ سـ٨٠١م فهى أول من هتف في الاتجاه الصوفى بلفظ الحب في غير تهيب بعد أن ظلت هذه الكلمة ((الحب)) رغم ورودها في القرآن والسنة الشريفة إلى عصرها دون استخدام حتى جاءت السيدة رابعة فكانت نسقاً فريداً في الزهاد والعباد فهى أول من أظهر هذا الحب مكشوفاً حيث تغنت به في شعرها ونثرها وهذا الحب ملك عليها أقطار نفسها وملأ جوانب حياتها ٠

وقد روى الإمام الشعرانى: أنها رضى الله عنها كانت كثيرة البكاء والحزن وكانت إذا سمعت ذكر النار غشى عليها زماناً وكان موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها)) ٠[١]

أما اهتمامها بروح العبادة والإخلاص فيها فكانت تقول: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار)) وكانت تقول أيضا((اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم)) [٢].

ومن أقوالها في معنى الرضا ما أورده الكلاباذى في كتابه ((التعرف لمذهب أهل التصوف)) ٠ من أن سفيان الثورى قال عند رابعة ((اللهم ارض عنى فقالت له أما تستحى أن تطلب رضاً من لست عنه براض))[٣]

وذلك إشارة منها إلى الرضا الذى يجب أن يكون متبادلاً بين العبد والرب مصداقاً لقوله تعالى ((رضى الله عنهم ورضوا عنه)) ٠[٤]

وكانت ترى أن المحبة الصادقة هى الدافع إلى الطاعة وأن المعصية دليل على عدم صدق المحبة فتقول:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه.: هذا لعمرى في الفعال بديع

---

(١) الإسلام والتصوف صـ٧٧.

(٢) السابق صـ٧٤.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف صـ١٠٢ للكلاباذى ط القاهرة.

(٤) سورة المائدة الآية ١١٩.

لو كان حبك صادقاً لأطعته.: إن المحب لمن يحب مطيع. (١)

ويظهرأن حب رابعة لله كان من ذلك النوع الذى سيطر على كيانها إلى الحد الذى جعلها تغيب عن ذاتها في كثير من الأحيان لحضورها مع الله تعالى على نحو ما تشير اليه بقولها:-

إنى جعلتك في الفؤاد مُحّدثى.: وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس مؤنس.: وحبيب قلبى في الفؤاد أنيسى . (٢)

وكانت إذا صلت العشاء تقوم على سطح لها تشد عليها درعها وخمارها ثم تقول:

يا إلهى أنارت النجوم ونامت العيون واعلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فإذا كان وقت السحر وطلع الفجر تقول إلهى هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنأ؟ أم رددتها علىَّ فأعزى وعزتك وجلالك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع في قلبى من محبتك)) . (٣)

وكانت تعبر عن حبها فتقول:-

أحبك حبين حب الهوى .: وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى .: فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له .: فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لى .: ولكن لك الحمد في ذا وذاكا (٤)

---

(١) الإسلام والتصوف صـ٧٧ ما سينيون ومصطفي عبدالرازق مطبوعات الشعب ١٣٩٩هـ لسنة ١٩٧٩ م

(٢) الإسلام والتصوف صـ٧٧ وعوارف المعارف للسهرودى.

(٣) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب جـ٢ صـ٢١،٢٢ عبد الرازق أسود ط بيروت ١٤٠٠ هـ وصفة الصفوة جـ٤ صـ ٢٠ لابن الجوزى.

(٤) إحياء علوم الدين جـ٤ صـ٣١٠ للإمام الغزالى.

وكانت تقول إلهى اذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بها وإذا كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى منها وإذا كنت أعبدك ابتغاء محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى.

إنها تعبد الله لذاته وهى ترجو وجهه وتبتغى رضاه وتأمل فى لقائه يوم اللقاء فتطالع وجهه الأزلى وتنظر وجهه الكريم، وبهذا وجهت السيدة رابعة حياة الزهد في الإسلام وجهة جديدة حيث تخطت حاجز الخوف من النار والطمع في الجنة إلى هدف أعلى وأسمى وهو ابتغاء محبة الله ورضوانه لأنها تعلم أن بعد الرضا يكون النعيم والفوز بالجنة، وبدون الرضا لا يكون إلا العذاب والنار ومع الرضا يكون الثواب والبعد عن العقاب .[1]

نخلص مما سبق كله إلى أن رابعة العدوية كانت تمثل في القرن الثانى الهجرى تيار الزهد القائم على أساس حب الله تعالى على حين كان الحسن البصرى أبرز من مثل الزهد القائم على أساس الخوف من الله تعالى، لقد كانت رابعة العدوية في الحقيقة – نقطة تحول هامة في الزهد الإسلامى الممهد لظهور الصوفية والتصوف .

وكانت هذه الحياة الروحية التى عاشها الصوفية خلال القرن الأول والثانى الهجرى تُكونها العناصر الآتية:

١ – الزهد والخوف والحب والتوكل وبمعنى أعم مقامات الصوفية .

٢- العمل على تزكية النفس وتصفية القلب بالمجاهدة والرياضة .

٣- التأمل والتفكر فى آيات الله وأسرار الكون والحياة .

٤- تجاوز الرسوم والأشكال إلى الفهم العميق لروح الإسلام، وهذه الحياة بهذا المعنى هى التى أطلق عليها اسم ((حركة الزهد)) في الإسلام ومن خصائص هذه الحركة:-

(١) التصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومة جـ١ صـ ١٨٦: ١٨٨.

أ- أنها كانت مطبوعة دائماً بطابع الدين وواقفة عند حدود الشريعة ٠

ب- أنه زهد ذو طابع عملى ولم يعن أصحابه بوضع القواعد النظرية له ٠

ج- كانت الغاية من هذه الحياة الوصول إلى رضوان الله تعالى ومحبته واتقاء غضبه وعقابه ٠[١]

٢- التصوف في القرنين الثالث والرابع الهجريين:-

من الصعب تحديد فواصل زمنية بين حركتى الزهد والتصوف في الإسلام حيث طرأ على الزهد منذ أوائل القرن الثالث الهجرى تحول واضح ولم يعد الزّهاد في هذه الفترة يسمون بهذا الاسم وإنما عرفوا بالصوفية – وإن كان القشيرى وابن خلدون يرجحان ظهور هذا الاسم قبل سـ٢٠٠ هـ[٢]

– فلم يكن كيان مستقل بل ظهرت كلمات مثل طريقتنا ومذهبنا وعلمنا يقول أبو القاسم الجنيد ((علمنا مقيد بالكتاب والسنة – علمنا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ)) ويقول أبوسليمان الدارانى ((إنه لتمر بقلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل من الكتاب والسنة))٠[٣]

وما أن ظهر مصطلح صوفية حتى اتجهوا إلى الكلام عن معانى لم تكن معروفة من قبل فتكلموا عن الأخلاق والنفس والسلوك محددين طريقاً إلى الله يترقى السالك له فيما يعرف بالمقامات والأحوال وعن المعرفة ومناهجها والتوحيد والفناء والاتحاد والحلول ووضعوا القواعد النظرية ٠

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى صـ٩٠ والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ صـ١٥٩، ١٦٠ ٠

(٢) الرسالة القشيرية ص ٧، ٨، ومقدمة ابن خلدون ص ٢٢٨

(٣) الصوفية ((نشأتها وتطورها)) صـ٢٣، ٢٤ محمد العبده.

وهنا ظهر التدوين في التصوف ومن أقدم من صنف فيه المحاسبى المتوفى سـ ٢٤٣ هـ والحكيم الترمذى المتوفى سـ٢٨٥ هـ والجنيد المتوفى سـ٢٩٧ هـ وهم جميعاً من صوفية القرن الثالث الهجرى ٠

ومن هنا نجد أن الحياة الروحية في الإسلام أخذت منحى جديداً فبعد أن كان الزهاد والعباد والنساك والبكاءون والفقراء الذين شكلوا الحياة الروحية الأولى لا رابط بينهم ليست لهم طريقة تجمعهم أصبحت الحياة الروحية بظهور مصطلح صوفية لهم مذاهب وطرق ومدارس وشيوخ ومريدون يأخذون عن مشايخهم ويتلقون مبادئ السلوك عنهم حتى قال أبو اليزيد ((لاشيخ له فشيخه الشيطان))٠ [١]هذا ويمكن أن نعتبرتصوف القرن الثالث والرابع الهجرى تصوفاً إسلامياً ناضجاً اكتملت له كل مقوماته وقد أشار الدكتور أبو العلا عفيفى رحمه الله إلى ذلك قائلاً ((دخل التصوف بعد ذلك))

(أى بعد أن كان زهداً) في دور جديد هو دور المواجد والكشف والأذواق ويقع هذا الدور في القرنين الثالث والرابع اللذين يمثلان العصر الذهبى للتصوف الإسلامى في أرقى وأصفى مراتبه))٠ [٢]

وقد أطلق الصوفية منذ هذا العصر وما بعده تسميات خاصة على علمهم فعرف بعلم الباطن أى علم إصلاح باطن العبد من الناحية الأخلاقية ولا علاقة لهذا العلم بمذاهب الباطنية من الشيعة وبعلم الحقيقة استناداً إلى حديث حارثة وقول الرسول له ((لكل حق حقيقة))

وبعلم الوراثة استناداً إلى حديث ((العلماء ورثة الأنبياء)) ٠ [٣] وغير ذلك ٠

(١) الرسالة القشيرية صـ١٨١ للقشيرى ط مصر سـ١٣٣٠ هـ ٠

(٢) التصوف الثورة الروحية في الإسلام صـ٩٢ ٠

(٣) لطائف المنن صـ٩٧ وما بعدها لابن عطاء الله.و اللمع صـ٢٢ للطوسى.

ويلاحظ الدارس للتصوف الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع أن التصوف أصبح طريقاً للمعرفة بعد أن كان طريقاً للعبادة وقد حفلت كتب التراجم والطبقات بأقوال الصوفية الذين عاشوا في هذين القرنين كالرسالة القشيرية واللمع للطوسى والتعرف للكلاباذى والطبقات للسلمى وغيرها وهى أقوال توقعنا على بواكير التصوف النظرى ٠

وقد ظهر فى هذين القرنين اتجاهين واضحين للتصوف وهما:-

الاتجاه الأول: يمثله صوفية معتدلون في آرائهم يربطون بين تصوفهم وبين الكتاب والسنة بصورة واضحة وإن شئت قلت يزنون تصرفهم دائماً بميزان الشريعة وكان بعضهم من علمائها المعروفين ويغلب علي تصوفهم الطابع الأخلاقى ويمثل أبو القاسم الجنيد هذا الاتجاه فهو بحق أعمق صوفية هذه الفترة كلاماً عن التوحيد والفناء فيه وهو أعظمهم خطراً ولذلك يلقب بشيخ الطائفة وقد وصفه القشيرى في الرسالة بأنه سيد هذه الطائفة وإمامهم))[١] ويمثل الجنيد فى تصوف عصره اتجاهاً معتدلاً وإن شئت قلت يمثل تصوف الفقهاء المستند إلى الكتاب والسنة بشكل ظاهر ولعل فى عبارته التالية ما يشير إلى منهجه فى التصوف يقول الجنيد: من لم يحفظ القران ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر((يقصد التصوف)) لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة)) ٠[٢]

وهو يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه)) [٣]

(١) الرسالة صـ١٨ ٠
(٢) الرسالة القشيرية صـ١٩ ٠
(٣) طبقات السلمى صـ١٥٩ ٠

ومن أصحاب هذا الاتجاه أيضاً معروف الكرخى المتوفى سـ٢٠٠ هـ وهو من أوائل الصوفية ولعله أول من عرف التصوف فقد عرفه بقوله ((التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدى الخلائق))٠[١]

والتصوف عند معروف الكرخى قائم على الشريعة وما تتطلبه من أعمال العبادات غير أنه يكره الجدل النظرى،

فى مسائل الدين فيقدم العمل على ذلك يقول " إذا أراد الله بعبده خيراً فتح عليه باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا اراد الله بعبده شراً أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل "[٢].

ومن أصحاب هذا الاتجاه أيضا أبو سليمان الدارانى المتوفى سنة ٢١٥هـ فالحقيقة عنده مرتبطة بالشريعة يدلنا على ذلك قوله " ربما تقع فى قلبى النكتة " المسألة " من نكت القوم " يعنى الصوفية " أياماً فلا أقبل منه " أى من قلبه " إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة "[٣].

وتروى لنا كتب التصوف أقوالاً لصوفية القرنين الثالث والرابع فى المعرفة على أن أبرز وأسبق صوفى غلب عليه الكلام فى المعرفة هو ذو النون المصرى المولود بأخميم بصعيد مصر سنة ١٥٥هـ وتوفى سنة ٢٤٥هـ ويصفه كتاب التراجم بأنه كان أوحد وقته علماً وورعاً وحالاً وترجع أهميته فى التصوف إلى أنه أول من تكلم فى مصر فى الأحوال ومقامات أهل الولاية [٤]

---

(١) الرسالة صـ١٢٧ ٠

(٢) طبقات الصوفيه ص ٨٧ للسلمى.

(٣) الرسالة ص ١٥.

(٤) الرسالة القشيرية ص١٤٠: ١٤٣ واللمع ص ٥٦ والتعرف لمذهب أهل التصوف ص ٦٣: ٦٦. ووفيات الأعيان ج١ ص ١٢٦ وطبقات الشعرانى ج١ ص ٨١:٨٤ وحلية الأولياء ج٩ ص ٢٣١. والنجوم الزاهرة ج٧ ص ٥٣.

والكلام فى الأخلاق ومعانيها كالمجاهدة والتوبة والصبر والرضا والتوكل والتقوى والخوف والرجاء والمحبة والذكر وغير ذلك والنفس وعللها والسلوك وآدابه ومراحله حظ مشترك بين صوفيه القرنين الثالث والرابع جميعاً وكتب طبقاتهم حافلة بالشئ الكثير من أقوالهم فى ذلك ولعل من أوائل من تكلموا فى هذه الناحية بشىء من التعمق الحارث بن أسد المحاسبى وهو أحد الصوفية الذين جمعوا بين العلم بالشريعة وعلوم الحقائق والذى توفى ببغداد سنة ٢٤٣هـ وصفه القشيرى بأنه عديم النظير فى زمانه علماً وورعاً ومعاملة ووصفه الشعرانى بقوله " هو من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات"[١] وهو مؤسس مدرسة بغداد الصوفية التى انتمى إليها الجنيد المتوفى سنة ٢٩٨هـ وقد سمى المحاسبى بهذا الاسم لمحاسبته لنفسه وله عدة رسائل فى التصوف تدور حول تحليل الحياة الروحية وأهمها كتابه " الرعاية لحقوق الله " والذى وصفه ماسينيون بأنه أجمل كتاب عن حياة الباطن أخرجه الإسلام وينحو المحاسبى فى تصوفه إلى التحليل المنطقى [٢].

وشهد القرنان الثالث والرابع أيضاً ظهور الطرق الصوفية فى صورتها الأولى مثل الطريقة الجنيدية وهى تنسب الى الجنيد بن محمد والطريقة القصارية التى تنسب إلى حمدون بن أحمد القصار والطريقة الطيفورية وهى المنسوبة إلى طيفور بن عيسى وهو أبو يزيد البسطامى والطريقة النورية المنسوبة إلى أبى الحسين النورى [٣] وغيرها من الطرق.

---

(١) الطبقات الكبرى ج١ ص ٦٤ للشعرانى.

(٢)طبقات السلمى ص ٥٦: ٥٩ والرسالة القشيرية ص ١٢ والطبقات الكبرى ج١ ص ٦٤.

(٣) فى التصوف الإسلامى وتاريخه ص ٢٠ وطبقات السلمى ص ١٢٣: ١٢٩، ص ١٦٤: ١٦٩ والحياة الروحية فى الإسلام ص ١١٩.

وأصبحت كلمة " طريقة " عند صوفية القرنين الثالث والرابع المذكورين فى الرسالة القشيرية تشير إلى مجموعة الآداب والأخلاق التى تتمسك بها طائفة الصوفية يجعل القشيرى طريقة الصوفية مقابلة لطريقة أرباب العقل والفكر ويذكر أن كلمة طريقة بمعنى منهج الإرشاد النفسى والخلقى الذى يربى به الشيخ مريده [١].

الاتجاه الثانى:

ويمثله صوفية استسلموا لأحوال الفناء ونطقوا بعبارات غريبة عرفت بالشطحيات والشطح كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات المحققين فإنه دعوى يفصح بها العارف من غير إذن إلهى " [٢] وكانت لهم تصورات لعلاقة الإنسان بالله كالاتحاد والحلول وتصوفهم لا يخلو من بعض المنازع الميتافيزيقية فى صورة بسيطة ويمثل هذا الفريق البسطامى والحلاج، وإذا كان الجنيد يمثل الصوفيه المتزين فى التعبير عن حقائق التوحيد وكان مؤثراً للبقاء على الفناء وللصحو على السكر وللفرق على الجمع،[٣] فإن ثمة صوفية آخرين غلبت عليهم أحوال السكر والفناء والجمع فى حبهم لله ونطقوا بعبارات غريبة عرفت بالشطحيات وأداهم ذلك إلى إعلان اتحادهم بالله أو حلول الحقيقة الإلهية فيهم وأغلب الظن أنهم لم يقصدوا اتحاداً أو حلولاً حقيقياً ولكن عباراتهم ملتبسة وقد حكم عليهم بعض الفقهاء بالخروج عن العقيدة الإسلامية والتمس بعض الصوفية تأويلات لأقوالهم تجعلها متمشية مع الشريعة وتوقف البعض فى الحكم عليهم[٤] ويمثل أبو يزيد البسطامى صوفية هذا الاتجاه حيث أسرف أبو يزيد فى التعبير عن حال فنائه واتحاده بمحبوبه فينطق بشطحيات

(١)الرسالة القشيرية ص ٢، ٣، ٧، ١٠.

(٢) التعريفات للجرجانى مادة " شطح ".

(٣) الرسالة القشيرية، ص ٣٥: ٣٨.

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١١٦، ١١٧.

غريبة نحو قوله " إنى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى "[١] وقوله " سبحانى ما أعظم شأنى "[٢] وقوله " خرجت من بايزيديتى كما تخرج الحية من جلدها ونظرت فإذا العاشق والمعشوق والعشق واحد لأن الكل واحد فى عالم التوحيد "[٣]

وإذا كان الفناء قد أدى بالبسطامى إلى القول بالاتحاد فإنه قد أدى بالحلاج إلى القول بالحلول والحلاج هو أبو المغيث الحسين بن منصور الحلاج ولد فى مدينة البيضاء بفارس سنة ٢٤٤هـ ونشأ فى واسط بالعراق وصدرت ضده فتوى صدق عليها القاضى المالكى أبو عمرو سنة ٣٠١ هـ وحكم عليه بالإعدام فصلب وقطعت يداه ورجلاه، وقد ترك الحلاج بعض المصنفات التى ذكرها ابن النديم وغيره أهمها كتاب الطواسين "[٤] يقول الحلاج عن نفسه وقد تحقق بمقام الفناء بل بالحلول عبر الفناء " أنا الحق " يقول:

***أنا الحق والحق للحق حق ** لابس ذاته فما ثّم فرق** [٥]

ويقول فى معنى الحلول: **سبحان من أظهر ناسوته *سّر سنا لاهوته الثاقب**

ثم بدا فى خلقه ظاهراً *فى صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه *كلحظة الحاجب بالحاجب [٦]

وفى هذه المرحلة تم تطور التصوف على أساسين:-

---

(١) تذكرة الأولياء ج١ ص ١٣٧.

(٢) السابق جـ١ ص ١٤٠.

(٣) السابق ص ١٦٠.

(٤) طبقات السلمى ص ٣٠٧ ووفيات الأعيان جـ١ ص ١٨٣ وما بعدها.

(٥) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٥٢.

(٦) الطواسين ص ١٣٠ نقلاً عن فى التصوف الإسلامى ص١٣٣ لينكلسون والصوفية عقيدة وسلوكاً ص ٢٤٧، ٢٤٨ د٠ صابر طعمية.

الأول: تنظيم التعاليم والمبادئ الدينية التى كان لها وجود بالفعل قبل التصوف فى مرحلة " الزهد " والتوسع والتدقيق فى معانيها.

الثانى: اكتساب تعاليم ورسوم جديدة لم يكن لها وجود من قبل فى الوسط الإسلامى بدأ التأثر بها والأخذ عنها كما بينا فى العوامل الخارجية لنشأة التصوف بالمؤثرات الأجنبية (١).

هذا وقد امتازت هذه المرحلة بسمات ميزتها عن الحياة الروحية الأولى وأهمها:-

١-**الزهد:** الذى انتقل من مرحلة الزهد فى متاع الدنيا والعزوف عن شهواتها ابتغاء ثواب الآخرة ومتاعها ونعيمها إلى ترك كل ما يشغل عن الله تعالى وهو " زهد العارفين "(٢) والزهد بهذا طريق إلى المعرفة " فمن زهد فى الدنيا وكل الله به ملكاً يغرس الحكمة فى قلبه " (٣).

٢-**الحب:** وقد تطور إلى حب مطلق لذات الله تعالى مجرد عن الرغبة والرهبة وهو الذى تستلزمه المعرفة الحقة بالله فهو خطوة فى طريق المعرفة حتى يقول السرى السقطى لمحبوبه " يا أنا " (٤)

٣-**الفناء:** وهو اتجاه هام من اتجاهات حركة التطور الصوفى وهو يعنى فناء الإنسان عن نفسه حتى لا يرى إلا ربه وهو " فناء الشهود أو فناء الذات الفردية فى الذات الكلية الإلهية وهو " فناء الوجود "

٤-**الأذواق والمواجيد:** وهى التى ترد على القلب بلا تعمد ولا تكلف وهى نتيجة أو ثمرة للرياضات والمجاهدات التى يأخذ بها الصوفى نفسه.

---

(١) التصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ ص ٢٠٠.

(٢) كالإمام أحمد بن حنبل وأبو سليمان الدارانى انظر الرسالة القشيرية ص ١١٨ طـ بيروت سنة ١٩٩١م.

(٣) الرسالة ص ١١٨.

(٤) الرسالة ص ٣٢٤.

٥-**القول بالمعرفة المباشرة:** وهى العلم الناشئ عن الكشف والشهود وهى غاية الطريق والمقصد الأعلى للسالكين إلى الله تعالى [١].

وبالجملة نستطيع القول بأن القرنين الثالث والرابع قد شهدا اكتمال التصوف الإسلامى وأن صوفيته كما قال الدكتور أبو العلا عفيفى يمثلون العصر الذهبى للتصوف الإسلامى فى أرقى وأصفى مراتبه وهم لاشك رواد لكل من سيجئ بعدهم.

٣ـ التصوف فى القرن الخامس الهجرى:

رأينا فى المرحلة السابقة اتجاهين متميزين للتصوف عند صوفية القرنين الثالث والرابع أحدهما: سنى يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة ويربطون أحواله ومقاماته بهما. والآخر: شبه فلسفى ينزع أصحابه فيه إلى الشطحيات وينطلقون من حال الفناء إلى إعلان الاتحاد أو الحلول، وقد استمر الاتجاه الأول أثناء القرن الخامس الهجرى بوضوح على حين اختفى الاتجاه الثانى أثناءه – وإن كان قد عاود الظهور فى صورة أخرى عند أفراد من متفلسفة الصوفية فى القرن السادس وما بعده.

واختفاء الاتجاه الثانى فى القرن الخامس راجع إلى غلبة مذهب أهل السنة والجماعة الكلامى الذى انتصر له أبو الحسن الاشعرى المتوفى سنة ٣٢٤هـ [٢] على ما سواه من المذاهب ومحاربته الغلو الذى ظهر فى التصوف على يد كل من البسطامى والحلاج وأصحاب الشطح عموماً وكل أنواع الانحرافات الأخرى التى بدأت تظهر فى ميدان التصوف.

---

(١) التصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) نقد أبو الحسن الأشعرى مذاهب المنحرفين من الصوفية القائلين بالحلول والإباحة ورؤية الله فى الدنيا وذلك فى مقالات الإسلاميين. استانبول سنة ١٩٢٠م جـ١ ص٥ وتابعه فى ذلك مدرسته وممن هاجموا هذه المذاهب بحجج قوية الفخر الرازى فى " المسائل الخمسون " مجموعة الرسائل ص ٣٥٧.

ولذلك اتخذ التصوف فى القرن الخامس اتجاهاً إصلاحياً واضحاً على أساس من إرجاعه إلى نصوص الكتاب والسنة ويعتبر القشيرى والهروى الأنصارى من أبرز صوفية هذا القرن الذين نحوا بالتصوف هذا المنحى السنى وسينهج نهجهما فى الإصلاح الإمام الغزالى فى النصف الثانى من هذا القرن ويكتب بذلك الانتصار للتصوف السنى فينتشر على نطاق واسع جداً فى العالم الإسلامى. (١)

ومن أبرز صوفية هذا القرن:

أ) الإمام القشيرى:

ولد القشيرى واسمه عبدالكريم بن هوازن سنة ٢٧٦هـ بنواحى نيسابور وهو من أصل عربى وقد توفى القشيرى سنة ٤٦٥ هـ (٢)

والقشيرى شخصية هامة من شخصيات التصوف الإسلامى فى القرن الخامس وترجع أهميته (٣) إلى ما كتب عن التصوف والصوفية ففى القرنين الثالث والرابع من ذوى الاتجاه السنى فحفظ بذلك أقوالهم وتراثهم فى التصوف من ناحيته النظرية والعملية ٠

والمتأمل فى الرسالة القشيرية يلاحظ فى وضوح اتجاه الإمام القشيرى لتصحيح التصوف على أساس عقيدة أهل السنة فيقول ((اعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة الصوفية بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة فى التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع ودانوا بما وجدوا علية السلف وأهل السنة من

---

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٤٥.

(٢) وفيات الاعيان جـ١ ص ٣٧٦: ٣٧٨.

(٣) لا يقل عنه فى الأهمية أيضاً صوفيان آخران هما السلمى صاحب الطبقات المتوفى سـ٤١٠هـ والهجويرى صاحب ((كشف المحجوب المتوفى سـ٤٨١ هـ وقد تتلمذ القشيرى فيما يذكر عنه على السلمى كما أن الهجويرى إلتقى به وباحثه فى بعض مسائل التصوف ٠ انظر مقدمة الدكتور ((فير)) محمد حسن للرسا ئل القشيرية باكستان سـ١٣٨٤هـ صـ ٩، صـ٢٣ ٠

توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل ولذلك قال سيد هذه الطائفة الجنيد رحمه الله: التوحيد إفراد القدم من الحدوث)) [١]

وينطوى كلامه هذا على إنكار ضمنى على صوفية الشطح الذين نطقوا بعبارات توهم الخلط بين صفات الألوهية وصفات البشرية، فالقشيرى كان يرمى لإصلاح التصوف ولا يكون ذلك فى رأيه إلا بإرجاعه إلى عقيدة أهل السنة والجماعة والاقتداء فى ذلك بالصوفية السنيين الذين ذكرهم فى رسالته من أهل القرنين الثالث والرابع وسنجد أن القشيرى فى هذا الصدد كان ممهداً للغزالى الذى انتمى إلى نفس مدرسته الأشعرية والذى تبنى نفس فكرته وسار فى نفس الاتجاه مثل المحاسبى والجنيد وقد حمل على أصحاب الشطح.[٢]

(١) الرسالة صـ٢ ٠

(٢) مخل إلى التصوف الإسلامى صـ١٤٧،١٤٨ ٠

بـ الإمام الهروى الأنصارى:ـ

الهروى أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى الهروى ولد بهراة من أعمال خراسان عام سـ٣٩٦ هـ وكان من أبرز فقهاء الحنابلة ولما كان الهروى حنبليًا فقد اشتدت خصومته لمذهب الأشاعرة فهو ينتمى إلى الحنابلة وهم من أهل السنة والجماعة وغاية ما فى الأمر أنهم أكثر تعويلاً على الحديث ولايتأولون النصوص الدينية خلافاً للأشعرية واعتبره البعض ممثلاً لنوع من التصوف أطلق عليه البعض بالتصوف السلفى والمحاسبى من قبل الهروى يدرج فى عداد السلف – يعنى متقدمى السلف – لأنه دافع عن عقائد السلف ويقصد بهم الصحابة ومن تابعهم بالأدلة العقلية وألف فيها فإن مذهب أهل السنة والجماعة يشمل الهروى وغيره ممن اتخذوا تجاهه من قبله وهذا لا ينفى أنه توجد تحت هذا المذهب الواحد اتجاهات مختلفة بالنسبة لاستخدام التأويل أو عدم استخدامه ٠ [١]

وأهم ما كتبه الهروى فى التصوف كتابه ((منازل السائرين إلى رب العالمين))

وهو كتاب موجز شيق يصف فيه مقامات الطريق الصوفى أو منازله ويجعل له بدايات ونهايات ويقول ((إن العامة من علماء هذه الطائفة اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلاّ بتصحيح البدايات كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساسات وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص ومتابعة السنة)) ٠ [٢] هذا وقد كتبت شروح كثيرة على ((منازل السائرين)) من أهمها شرح ابن القيم المتوفى سـ٧٥١ هـ المعروف ((بمدارج السالكين)) والهروى صاحب نظرية فى الفناء وفى التوحيد شبيهة بنظرية الجنيد وقد شرحها ودافع

(١) الفلسفة الصوفية فى الإسلام صـ١٠٠ وما بعدها د٠ عبد القادر محمود ط القاهرة سـ١٩٦٧ والملل والنحل هامش جـ١ صـ٩٢،٩٣ ٠

(٢) منازل السائرين صـ٣ للهروى طبع مصطفى البابى الحلبى القاهرة سـ١٣٢٨ هـ

عنها ابن القيم فى ((مدارج السالكين)) ونبه على الفرق بينها وبين الاتحاد ووحدة الوجود وهو فناء أصحاب وحدة الوجود وهو الذى يسمى الفناء عن وجود السوى وهو فناء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود وأنه ما ثم غير وأن غاية العارفين والسالكين الفناء فى الوحدة المطلقة ونفى التكثر والتعدد عن الوجود بكل اعتبار وأما الفناء عن شهود السوى فهو الفناء الذى يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية وهو الذى بنى عليه أبو إسماعيل الأنصارى الهروى كتابه ((منازل السائرين)) وقد انتقد الهروى باعتباره صاحب أتجاه سنى صوفية الشطح كالبسطامى والحلاج نفى عنهما الولاية لما أثر عنهما من شطح فاحش. (١)

ج- الإمام الغزالي:-

الإمام الغزالي هو محمد بن محمد بن أحمد الملقب بأبى حامد والمعروف بحجة الإسلام كان والده يشتغل بغزل الصوف ولد الإمام الغزالى بطوس من أعمال خراسان عام ٤٥٠ هـ تربى تربية صوفية منذ النشأة انتقل فى طلب العلم إلى بلاد كثيرة وتلقى العلم على يد فقهاء وعلماء كثيرون من أشهرهم أبو المعالى الجوينى الملقب ((إمام الحرمين)) وقد تعمق فى كثير من العلوم المختلفة لقد كان بحق رحمه الله تعالى دائرة معارف فى شتى علوم عصره توفى سـ٥٠٥ هـ ١١١١ م ٠ (٢)

(١) منازل السائرين صـ ٣ ومدارج السالكين جـ٦صـ١٤٩، ١٥٥ ومدخل إلى التصوف صـ١٤٩، ١٥١ ٠

(٢) وفيات الأعيان جـ ١صـ٥٨٦، ٥٨٨ وطبقات الشافعية جـ٤ صـ١٠١: ١٧٢ للسبكى وسيرة الغزالى وأقوال المتقدمين فيه جمع وتحقيق عبد الكريم العثمان ٠ دار الفكر بدمشق ودائرة معارف القرن العشرين جـ٧ ص ٦٨ ٠

ويعتبر الإمام الغزالى أكبر مدافع فى الإسلام عن التصوف السنى وهو التصوف القائم على عقيدة أهل السنة والجماعة وعلى الزهد والتقشف وتربية النفس وإصلاحها ويتفق الغزالى فى هذا مع صوفية الاتجاه الأول فى القرنين الثالث والرابع الهجريين والذين أشرنا إليهما فى المرحلة السابقة للتصوف ومع القشيرى والهروى وغيرهم من السابقين عليه الذين ينتمون إلى نفس الاتجاه – على أن الغزالي يعد أعظم هؤلاء جميعاً من ناحية شخصيته وثقافته وتصوفه وعلمه وهو يعد بحق من أعظم صوفية الإسلام وأثره على التصوف من بعده كبير للغاية ٠ [١]

وكتبه ورسائله في التصوف كثيرة أهمها ((إحياء علوم الدين)) وقد أبان فيه بالتفصيل عن مذهبه فى التصوف رابطاً إياه بالفقه والأخلاق الدينية و ((المنقذ من الضلال)) الذي صور فيه حياته الروحية أجمل تصويرو منهاج العابدين و ((كيمياء السعادة)) و ((الرسالة أللدنية)) و ((مشكاة الأنوار)) والمقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى)) وغير ذلك وقد عالج الغزالى موضوع المعرفة على أساس عقلي ونفسي معاً وبحثها بطريقة ترضى عنها عقول الطالبين للحقيقة والمعرفة حيث جمع بين وسائل المعرفة جميعاً ٠

الحواس والعقل والوحي والذوق دون إلغاء أو إبطال لشيء منها وجعل لكل وسيلة من هذه الوسائل حدودها وميدانها ومحيط عملها ٠ [٢] ومن ثم كان خطأ من اعتمد على نوع واحد منها وأنكر غيره فالغزالي لاينكر الحس أو العقل وإنما يرى أن الوحي والذوق درجة فوق درجة الحس والعقل ويرى الغزالي أن المعارف يمكن إدراكها مرة بالذوق ومرة بالعلم البرهانى ومرة بالقبول الإيماني ٠ [٣] وإذا كان الذوق هو أعلى درجات المعرفة في نظر الغزالي إلاّ

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى صـ١٥٢ ٠
(٢) إحياء علوم الدين ج٣ صـ٣: ٢٣ والفلسفة الصوفية صـ٢١٨ د٠ عبد القادر محمود
(٣) المنقذ من الضلال صـ١٧٩ ٠

أن الذوق لا يتحقق دون شرع فلابد من الشرع للوصول إلى الذوق وبهذا يربط بين الشرع والذوق وأنه لابد من الشرع لهداية العقل وإرشاده للوصول إلى قبول ما فوق العقل كما أنه لابد منه لتأديب العقل بالشرع وعصمة العقل من الضلال والزيغ وبهذا يربط ما بين العقل والشرع ((ليصبح العقل شرعاً من داخل والشرع عقلاً من خارج)) ٠ [١]

ويقسم الإمام الغزالي العلم إلى قسمين:-

١- **علم كسبي:** أساسه الفطرة الصحيحة والاستعداد الفطري لتلقى العلم واكتسابه

٢- **علم رباني:** لا واسطة في حصوله بين النفس والباري سبحانه وإنما هو الضوء من سراج الغيب يقع على قلب صاف فارغ لطيف)) ٠ [٢] وهو العلم اللدنى هذا العلم الفائض من قبل الله تعالى لا يكون إلاّ بعد الاستعداد لفيضه أو بتعبير القرآن ((بعد التسوية)) كما قال سبحانه ((ونفس وما سواها)) ٠ [٣]

والإمام الغزالي يرسم لنا طريقاً يجمع بين العقل والعلم والعمل والذوق على غير ما نجد عند غيره من أصحاب الاتجاهات الأخرى الذين يفرقون بين العقل والذوق ويفصلون فصلاً تاماً بينهما ويرى الإمام الغزالي: أن القلب إذا طهر من أدران المعاصي وصقل بالطاعات أشرقت صفحته حتى تصبح كالمرآة الصقيلة المجلوة ينعكس عليها من اللوح المحفوظ ما شاء الله أن يكون وهذا هو العلم المعروف بـ ((اللدنى)) كما قال تعالى ((وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً)) ٠ [٤]

---

(١) معارج القدس صـ١١٠ للغزالى ومقاصد الفلاسفة صـ٢٩١ للغزالى ٠

(٢) الرسالة اللدنية صـ١١٦ من مجموع القصور العوالى الجزء الأول ٠

(٣) سورة الشمس الآية ١٧ ٠

(٤) سورة الكهف الآية ٦٥ وانظر إحياء علوم الدين جـ١ صـ٢٠، ج٣ صـ١٩ والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ ٢٦٧: ٢٦٩ ٠

ويرفض الغزالي نظرية الاتصال التي قال بها الفارابي وغيره وقال ينبغي أن يسمى القرب والأنس به سبحانه وتعالى والذى تشير إليه الآية الكريمة ((وإذا سألك عبادي عنى فإني قريب)) ٠ [١] والحديث القدسي((ما زال عبدي يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه)) [٢] أما الوصول والاتصال الذي يزعم معه بعض غلاة الصوفية الاتحاد والحلول فيرفضه الغزالي جميعاً يقول ((فقد ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل ذلك خطأ)) ويرى أن السبب في ذلك عدم إمكان التعبير في مقام يضيق عن نطاق النطق)) ٠ [٣] واستغراق بعض الصوفية إلى درجة لا يميزون فيها بين الخيال والحقيقة وكذلك لعدم رسوخ قدمهم في المعقولات ٠

وقد هاجم الغزالي كذلك أصحاب الاتجاهات المتطرفة في التصوف الإسلامي من هؤلاء الذين أسقطوا التكاليف الشرعية وألغوا الشريعة بحجة الوصول إلى الحقيقة وكل ما يدخل في باب الشطح وعلى كل حال فالإمام الغزالي رائد لمدرسة الكشف الصوفي دون منازع ٠

وخلاصة الأمر: أننا نرى ضرورة الدين للتصوف فالتصوف في القرن الخامس والذي أطلق عليه البعض اسم التصوف السني هذا النوع من التصوف أجمع المحققون أن له قواعد وأصول قام عليها وأهمها ما يلي:-

١- أن يكون التصوف مبنياً على دين صحيح وعلم موروث عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل ما خرج عن ذلك فهو مرفوض ٠

---

(١) سورة البقر الآية ١٨٦ ٠

(٢) رواه البخارى ٠

(٣) المنقذ من الضلال صـ١٧٨ تحقيق د٠ عبد الحليم محمود ط ٣ سـ١٩٦٢، الأنجلو المصرية وكيمياء السعادة صـ٨٧،٨٨ نقلاً عن الفلسفة الصوفية صـ٢٣٤ ٠

٢- أن يكون الطريق الصوفي مبنياً على الصدق صادر عن عقيدة راسخة وإيمان صادق ٠

٣- وجوب اتباع القرآن والسنة ولزوم الشريعة ٠

٤- لزوم الشريعة واجباً في طريق السلوك إلى الحقيقة وبعد الوصول إلى الحقيقة ويجمع هذا كله قول سهل التسترى رحمه الله تعالى المتوفى س ٢٨٣هـ ٨٩٦م

((إن أصول طريقتنا سبعة:

١ – التمسك بالكتاب ٢- الاقتداء بالسنة ٣- أكل الحلال

٤- كف الأذى ٥- تجنب المعاصي ٦- لزوم التوبة ٧- أداء الحقوق٠ [١]

٤ – التصوف في القرنين السادس والسابع:-

اتسم التصوف في القرنين السادس والسابع بسمات جديدة نتيجة التطور الذي أصابه في القرون السابقة فقد ظهر في هذين القرنين التصوف الفلسفي وهو تصوف آخر يختلف في الطابع عن التصوف السني الذي رأيناه عند الإمام الغزالي وعند غيره ممن سبقوه من الصوفية أصحاب الاتجاه السني وهذان القرنان قد شهدا ظهور أقطابه واستمر بعد ذلك عند أفراد من متفلسفة الصوفية حتى عصر قريب ولما كان هذا اللون من التصوف ممتزجاً بالفلسفة فإنه قد تسربت إليه فلسفات أجنبية متعددة منها اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية وذلك لا ينفى أصالته لأن الصوفية تمثلوا هذه الثقافات وحافظوا في نفس الوقت على استقلاليتهم وإن كان يؤخذ عليهم شدة تأثرهم بمذاهب الفلاسفة ومصطلحاتهم وقد حاولوا الملائمة بين المذاهب الأجنبية والإسلام،

(١) تاريخ التصوف فى الإسلام صـ٢٦ لينكلسون والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ١ صـ٢١٤:٢١٩.

وهذا التصوف الفلسفى غامض ويحتاج إلى عناء فى فهمه ومن هنا رفضه الكثير من مفكرى الإسلام.

ويضاف إلى ما سبق أمر هام لا يمكن إغفاله أو تجاهله ونحن نتحدث عن تأثر هذا التصوف بمؤثرات أجنبية وهو أن صوفية هذا العصر قد اختلطوا بالشيعة الإسماعيلية وتلقوا كثيراً من الفلسفات التى غزت العالم الإسلامى آنذاك فبدأ فى كلامهم القول بـ القطب وهو قريب مما يقوله الشيعة عن الإمام المستور كذلك فقد انتشرت فكرة القول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود ووحدة الأديان ونظرية الإنسان الكامل وغير ذلك من الأقوال(١).

ومن مشاهير هذا العصر والذى كان له الأثر الكبير فى إقامة هيكل التصوف على النحو السابق إيضاحه السهروردى المقتول ومحيى الدين بن عربى وابن الفارض.

أ-السهروردى المقتول:

اسمه أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك ويلقب بشهاب الدين ويلقب بالحكيم ولد بسهرورد سنة ٥٥٠هـ ومقتله بأمر صلاح الدين الأيوبى فى حلب سنة ٥٨٧هـ.

ويعرف هذا السهروردى بالمقتول تمييزاً له عن صوفيين آخرين هما أبو النجيب السهروردى المتوفى سنة ٥٦٣هـ وأبو حفص شهاب الدين السهروردى البغدادى المتوفى سنة ٦٣٢هـ صاحب كتاب " عوارف المعارف"(٢)

أما السهروردى هذا الذى نقصده بالحديث فهو صاحب التلويحات وحكمة الإشراق ويعتبر من أوائل متفلسفة الصوفية فى الإسلام كان متعمقاً فى الفلسفة. ويعتبر كتابه " حكمة الإشراق " أهم كتبه فى تصوير مذهبه حيث

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٨٧ وحقائق عن التصوف فى الإسلام ص ٤٦.
(٢) وفيات الأعيان ج٢ص ٣٤٠: ٣٤٨وحكيم الإشراق وحياته الروحية ص ٦٧، ٦٨د. محمد مصطفى حلمى

تضمن آراءه فى التصوف الإشراقى وأسلوبه فى مصنفاته بوجه عام أسلوب رمزى شديد الخفاء، ولقد كان عارفاً ومتأثراً كثيراً بكل من الفلسفة الأفلاطونية والمشائية والافلاطونية المحدثة وبالحكمة الاشراقية وبالفلسفة الهرمسية حيث يركز هرمس كثيراً فى مؤلفاته ويعتبره من رؤساء الإشراقيين.

وقد عرفت حكمة السهروردى بالحكمة الإشراقية – نسبة إلى الإشراق الذى هو الكشف وقد عرفت عند فلاسفة المشرق كابن سينا وحكمتهم ذوقية تعتمد على الإشراق وهو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها فى النفس عند تجردها [١].

ويشير السهروردى إلى أن حكمة الإشراق عنده مؤسسة على الذوق قائلاً " ولم يحصل لى أى ما تضمنه كتابه حكمة الإشراق " بالفكر بل كان حصوله بأمر آخر ثم طلبت الحجة عليه حتى لو قطعت النظر عن الحجة مثلاً ما كان يشككنى فيه مشكك "[٢]

وللسهروردى نظرية فى الوجود عبر عنها بلغة رمزية على أساس نظرية الفيض ولا يمكن اعتبارها نظرية صوفية فى وحدة الوجود بالمعنى الدقيق لأنه يعدد العوالم الفائضة عن الله [٣]

والنفس الإنسانية عند السهروردى حكيم الاشراق لا تصل إلى عالم القدس ولا تتلقى أنوار الإشراق إلا بالرياضة والمجاهدة ذلك أنها من جوهر الملكوت وإنما يشغلها عن عالمها " يقصد عالم الملكوت " هذه القوى البدنية فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية وضعف سلطان القوى البدنية وغلبتها

(١) وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٤٦ وحكمة الإشراق ص ١٠ للسهروردى المقتول طبع طهران سنة ١٣١٦م ومدخل إلى التصوف الاسلامى ص ١٩٥.

(٢) حكمة الإشراق ص ١٦: ١٩.

(٣) هياكل النور ص ٦٧ للسهروردى.

بتقليل الطعام وتكثير السهر تتخلص أحياناً إلى عالم القدس وتتصل بأبيها المقدس وتتلقى منه المعارف (١)

وهكذا تصل النفس عنده بالرياضة والمجاهدة إلى نوع من الفناء عن المتعلقات الدنيوية وعندئذ تتصل بعالم القدس وتتحقق لها المعرفة والسعادة فالنفوس الفاضلة عنده تتحقق بمشاهدة أنوار الحق والانغماس فى بحر النور ولا تنقضى سعادتها (٢).

ومن غريب ما طلع به علينا السهروردى تقسيمه لمراتب الحكماء إلى ثلاثة أقسام:

١-حكم إلهى متوغل فى التأليه عديم البحث كأكثر الأنبياء والأولياء من الصوفية كأبى يزيد البسطامى والحلاج.

٢-حكيم بحاث عديم التأليه كالمشائين من أتباع أرسطو من المتقدمين وكابن سينا من المتأخرين.

٣-حكيم إلهى متوغل فى التأليه والبحث ويدعى السهروردى أن هذه المرتبة لم يصل إليها إلا السهروردى نفسه فقط ويسمى نفسه بـ القطب والذى يعنى " خليفة الله " وادعائه هذا كان سبباً فى هجوم الفقهاء عليه وقد هاجمه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٧هـ واتهمه بادعائه النبوة (٣). ولذا صدرت فتوى علماء حلب بقتله.

٢- محيى الدين بن عربى:-

هو " محيى الدين بن على بن محمد بن أحمد الحاتمى الطائى الأندلسى المعروف بـ ابن عربى بالتنكير تمييزاً بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى

(١) السابق ص ٨٥.

(٢) السابق ص ٨٠، ٨٢.

(٣) حكمة الإشراق ص٢ والحياة الروحية فى الإسلام ص ١٤٠، ١٤١.

المتوفى سنة ٥٤٣هـ وقد لقب بـ سلطان العارفين [١]. كما لقب بـ الشيخ الأكبر [٢] واشتهر به ولد فى رمضان سنة ٥٦٠هـ بمرسية فى بلاد الأندلس سلك طريق التصوف الفلسفى وتوفى فى سوريا سنة ٦٣٨هـ ودفن بالقرب من دمشق [٣].

له مؤلفات كثيرة تربو على المائتين من أشهرها الفتوحات المكية وهو موسوعة ضخمة فى التصوف وفصوص الحكم الذى نشره مع تعليقات مستفيضة المرحوم الدكتور أبو العلا عفيفى وترجمان الأشواق وهو ديوان شعر فى الحب الإلهى، وأسلوب ابن عربى فى مصنفاته بوجه عام رمزى شديد الخفاء من حيث المعنى وهو يعتبر أول واضع لمذهب وحدة الوجود فى التصوف الإسلامى – وإن كان لهذا المذهب فى الأندلس ممهدات سبقت ظهوره – وهو مذهب يقوم على دعائم ذوقيه أساساً وهو يقول معبراً عن مذهبه هذا باختصار " سبحان من خلق الأشياء وهو عينها "[٤]

وملخص مسألة وحدة الوجود عند ابن عربى:

أن الحقيقة الإلهية – لديه – واحدة فى جوهرها وذاتها متكثرة بصفاتها وأسمائها لا تعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والإضافات، وهذه الحقيقة الإلهية إذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هى الحق وإذا نظرت إليها من

(١) لقب بهذا اللقب من قبله أبو يزيد البسطامى المتوفى سنة ٢٦١ هـ.

(٢) وقد عرفت طريقته " بالأكبرية " نسبة إلى شهرته.

(٣) تراجع ترجمته فى معجم أعلام الفكر الإنسانى ص ٢٠٥ تصدير د. إبراهيم مدكور ط١ سنة ١٩٨٤م الهيئة المصرية العامة للكتاب ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٢: ١٦١ الشيخ أحمد المقرى التلمسانى تحقيق د٠ إحسان عباس. ط دار صادر بيروت لبنان.

(٤) الفتوحات المكية جـ٢ ص ٦٠٤ للشيخ ابن عربى ط القاهرة سنة ١٢٩٣هـ.

حيث صفاتها وأسماؤها – أى من حيث ظهورها فى أعيان الممكنات – قلت هى الخلق [١].

وابن عربى قد بنى مذهبه فى الوجود على أصلين:-

الأول: أن المعدوم شئ ثابت فى العدم

الثانى: أن وجود الأعيان هو نفس وجود الرب وعينه [٢].

وفلسفة وحدة الوجود عنده لا تعبر عن وحدة الألوهية بل تمثل مذهباً فى الوجود الذى لا تعدد فيه ولا ثنائية وبالتالى فإن هذه الفلسفة – لا تفسح المجال للقول بوجود الممكن لأن الواجب والممكن لديه حقيقة واحدة [٣].

هذا وقد ترتب على مذهبه فى وحدة الوجود القول بنظرية الإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية وقد كان ابن عربى متأثراً فى هذه النظرية فالأفلاطونية المحدثة وغيرها من المصادر الفلسفية كما ترتب عليه أيضاً القول بوحدة الأديان كنتيجة مترتبة على قوله بالإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية [٤].

٣ـالشيخ ابن الفارض:

هو أبو حفص عمر بن أبى الحسين الحموى الأصل المصرى المولد والدار ولد سنة ٥٧٦هـ ١١٨١م عرف بابن الفارض لأن أباه على ما يظهر من هذا اللقب كان يكتب فروض النساء على الرجال، وهو الصوفى المصرى الأول بلا منازع ورأس شعراء الصوفية من العرب فقد كان ينحو فى شعره

(١) الفصوص ص ١٨٩ " الفص اللقمانى ويراجع مقدمة الفصوص ص٢٤ د. أبو العلا عفيفى.

(٢) الفصوص ص ٧٦ " الفص الإدريسى ".

(٣) تاريخ فلسفة الإسلام فى القارة الأفريقية ص ٣١٧ د يحيى هويدى.

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ٢٠٣.

منحى الصوفية ولقبه سلطان العاشقين فقد حفل ديوانه بأناشيد الحب الإلهى فصار بها تحفة أدبية تزهو به العربية على آداب الأمم وتراثاً روحياً فلسفياً توفى فى القاهرة سنة ٦٣٢هـ سنة ١٢٣٤م ودفن فى سفح جبل المقطم فى مكان يقال له " القرافة " وقد نسب إليه هذا المكان فقيل قرافة ابن الفارض "[١].

وقد عرف ابن الفارض فى التصوف بسلطان العاشقين حيث عبر عن حبه الإلهى شعراً فقد كان الشعر وسيلة من وسائل تعبير الصوفية عن أحوالهم ومواجيدهم والحب الإلهى فى الحقيقة لم يصبح موضوعاً رئيسياً للشعر إلا من عصر رابعة العدوية فقد تغنى الصوفية بعدها واعتبروه مقاماً من مقامات السلوك أو حالاً من أحواله، ومن شأن الحب الإلهى عند ابن الفارض – كما هو الأمر عند غيره من الصوفية – أن يقترن بحال الفناء ويصور الصوفيه حال الفناء بأنه الحال الذى يغيب فيه الصوفى عن إدراكه لذاته لفنائه فى محبوبه وهو الله ولا يعود فى هذه الحالة يشعر بنفسه ولا بشئ من لوازمها بل يرى ابن الفارض أن تحقق المحب بشهود محبوبه وهو الله لا يكون إلا مع الفناء عما فى الحياة من زخرف وجاه بل حتى عما فى الآخرة من جنة ونعيم ويعرف هذا الفناء عند ابن الفارض بالفناء عن شهود السوى على أنه ينبغى التنبيه – كما يقول الدكتور – أبو الوفا التفتازانى – إلى أنهم أى الصوفية لا يقصدون به فناء ما سوى الله فى الخارج وإنما هو عندهم فناء عن شهودهم له لاستغراقهم فى ذكر المحبوب وشهوده فغابوا عما سواه بالكلية [٢].

وثمة فناء آخر عنده ويعرف بالفناء عن إرادة السوى ومعناه أن يفنى فى مراد محبوبه ويصبح المحب فى هذه الحالة راضياً عن محبوبه تماما الرضا فيخاطب محبوبة قائلاً

(١) يراجع الموسوعة الصوفية ص ٣١١: ٣١٣ ومقدمة ديوان ابن الفارض.
(٢) مدخل إلى التصوف ص ٢١٩.

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتى
ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى سهواً قضيت بردتى (١)

ويرتب ابن الفارض على الفناء القول بالوحدة القائمة على الشهود والقول بالقطبية ووحدة الأديان ويعبر ابن الفارض عن الاتحاد المرتب على الفناء بقوله:

وجاء حديث فى اتحادى ثاب روايته فى النقل غير ضعيفة
يشر بحب الحق بعد تقربٍ إليه بنقل أو أداء فريضة

وقد نقل البقاعى عن ابن كثير رأيه فى التائية " قصيدة شعرية فى الحب الالهى " ابن الفارض وأنه كان يقول بالاتحاد ويذكر البقاعى أنه أبى ابن الفارض قد عاند التوحيد الحق ولم يرتضيه حيث قال:

ولو أننى وحدت الحدث وانسلخت من آى جمعى مشركاً بى صنعتى (٢).

وعن نظريته فى القطبية يرى أن القطب هو الروح المحمدى أو الحقيقة المحمدية وهو قطب معنوى وهو مصدر كل علم وعرفان بالنسبة للأنبياء والأولياء فيقول فى تائيته:

وروحى للأرواح روح وكل ما ترى حسناً فى الكون من فيض طينتى (٣)

ويرتب ابن الفارض على حبه وفنائه القول بوحدة الأديان وتعنى عنده أن الأديان مختلفة من حيث الظاهر أما من حيث حقيقتها وجوهرها فهى واحدة يقول فى تائيته.

لها صلوات بالمقام أقيمها وأشهد منها أنها لى صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقة بالجمع فى كل سجدة

---

(١) ديوان ابن الفارض ص ١٧.

(٢) ديوان ابن الفارض ص ١١٥ وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد للإمام برهان الدين البقاعى ص ٢١٦.

(٣) الديوان ص ٢٧.

وما كان لى صلى سواى ولم تكن صلاتى لغيرى فى أداء كل ركعة [1]

ونحن لا نوافقه على هذا كله لمخالفته صراحة للعقيدة الإسلامية.

ويمكن القول بإن التصوف قد وصل إلى مرحلة الإكتمال فى الأقوال والأفعال لدرجة أن النظريات التى توضع موضع النقد من قبل معارضى التصوف إنما تؤخذ من هذا العصر بعينه ولعل من خير ما يصور لنا هذه المرحلة بأمانة وموضوعيةهو الدكتور محمد مصطفى حلمى يقول " على أن هذه الحركة الروحية الخصبة المنتجة فى الناحيتين النظرية والعملية لم تكد تدنو من نهاية القرن السابع حتى كان قد أصابها شئ من الفتور والقصور لاسيما فى الناحية النظرية وهى التى يعبر فيها عن الحقيقة فى مذاهب ذوقية ولكنها مصطبغة بصبغة فلسفية كتلك التى شهدنا بعضها عند السهروردى المقتول وابن عربى وابن الفارض... فالذين جاءوا من الصوفية بعد القرن السابع لا يكادون يضيفون شيئاً جديداً إلى ما قاله المتقدمون ومصنفاتهم لا تكاد تزيد على أنها إما شروح وملخصات على كتب الأقدمين ومذاهبهم وإما ترديداً لتعاليم السلف وأقواله دون أن يكون فى ذلك الترويد شئ من الابتكار أو الجديد [2] ومن ثم نتوقف بتطور التصوف عند هذا الحد.

أقسام التصوف:

دأب بعض الصوفية على تقسيم التصوف إلى أنواع ثلاثة:-

الأول:قسم سنى: بدأ زهداً ثم تصوفًا وانتهى إلى الأخلاق ووضعه في صورته الكاملة أبو حامد الغزالى وأصبح طريقاً من طرق أهل السنة والجماعة وأحياناً

(١) ديوان ابن الفارض ص ٦١ وتحذير العباد ص ٢٠٥.

(٢) الحياة الروحية فى الإسلام ص ١٦١ د. محمد مصطفى حلمى وحقائق عن التصوف فى الإسلام ص ٤٧، ٤٨.

نراه كفرقة إسلامية تتميز في نطاق أهل السنة بمذهب خاص في الفقه والعبادات وفى المسائل الاعتقادية النظرية،

نشرح هذا فنقول: بدأ التصوف باستنباط حياة زهدية من القرآن والسنة، سنة الرسول صلى الله علية وسلم وسنة الصحابة ثم كان تصوفاً ثم أصبح التصوف علماً يقابله قواعد عملية وقد احتضن الأشاعرة مذهب الخلف منذ أبى حامد الغزالى التصوف وأ صبح جزءاً من حياة الخلف ولكن السلف المتأخرين هاجموا [١] هذا المنزع الأخلاقى عند الأشاعرة وأنكروا أن يعتنق مذهب أهل السنة والجماعة صورة صوفية في الحياة ولكنهم تناسوا أن التصوف عند أبى حامد الغزالى وعند المدرسة الأشعرية الكلامية إنما هو في نطاق الكتاب والسنة، وهذا النوع يمثله صوفية معتدلون في آرائهم يربطون بين تصوفهم وبين السنة بصورة واضحة وإن شئت قلت: يزنون تصوفهم دائماً بميزان الشريعة الإسلامية وكان بعضهم من علمائها المعروفين ويغلب على تصوفهم الطابع الأخلاقى [٢] ومن خصائص هذا النوع من التصوف أنه بسيط خل من التعقيد فى المسائل العقلية عليه الجانب العملى والسلوكويسمى هذا النوع بالتصوف العملى.

وقد تمثل هذا النوع من التصوف منذ القرن الثانى الهجرى حتى اكتمل على يد الإمام أبى حامد الغزالى،

الثانى: **قسم سلفى:** توضح هذا الإتجاه لدى الكرامية ثم لدى الهروى الأنصارى – عالم سلفى قديم اعتنق التصوف وخاض فيه– ثم انبثق هذا التصوف عند

(٢) نشأة الفكر الفلسفىالإسلام جـ٣ صـ ١٩ د٠ على سامى النشار ٠

(١) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٧ در أبو الوفا التفتازانى ط دار الثقافة للنشر والتوزيع سنة ١٩٩١ م.

ابن تيمية نفسه فكتب أجمل الصفحات في التصوف على طريقته ثم ظهر كاملاً متناسقاً عند تلميذه ابن القيم [١]

لقد أنجبت المدرسة السلفية – قبل ابن تيمية وبعده شيوخاً يدخلون في عداد كبار العباد والزهاد كالهروى الأنصارى ٤٨١ هـ ١٠٨٨ م وعبد القادر الجيلانى ٥٦١ هـ ١١٦٥ م وابن القيم ٧٥١ هـ ١٣٥٠ م صاحب كتاب مدارج السالكين وابن رجب الحنبلى ٧٩٥ هـ ١٣٩٢ م ٠

هذا وقد ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن ابن تيمية يعد خصماً للتصوف والصوفية وبعضهم قصر عداوته وخصومته على الحلولية والاتحادية وبمعنى أعم على التصوف الفلسفى،

والحقيقة أن أصحاب هذا الاتجاه تمسكوا بالمنهج الإسلامى ممثلاً في الكتاب والسنة ونبذ ما عداهما٠ [٢]

الثالث:**قسم فلسفى**: وهو الذى يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية مستخدمين في التعبير عنه مصطلحاً فلسفياً استمدوه من مصادره، وقد بدأ زهداً فتصوفًا، [٣]، ففلسفة أو بمعنى أدق بدأ التصوف في مرحلته الأولى يتخذ تصوراته وحقائقة من القرآن والسنة ثم انتقل إلى مرحلة التصوف فبينما كانت المرحلة الأولى مرحلة عملية كانت المرحلة الثانية مرحلة عمل ونظر ويسمى هذا النوع بالتصوف النظرى فتكلم الصوفية عن الأذواق والمواجيد وخطرات القلب ومراحل الطريق الصوفى وأخذوا يحددون تفسيرات

---

(٢) يراجع الصوفية والفقراء لابن تيمية وهى رسالة صغيرة سجل فيها خلاصة رأيه في التصوف والصوفية، وانظر كذلك في التصوف الإسلامى قضايا ومنا قشات ص ٣٣ نقلاً مقال بمجلة الأزهر للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى تحت عنوان ((موقف ابن تيمية من الصوفية جـ٩ ص٥٣ ومدارج السالكين للهروى وابن القيم)) ٠

(١) ابن تيمية والتصوف ص ٢٣: ٤٧ د٠ مصطفى حلمى ط الثانية سـ ١٩٨٢ م ٠

(٢) مدخل إلى التصوف الإسلامى ص ١٨٧ ٠

مقابلة لتفسيرات الفقهاء والمتكلمين للمعانى الدينية ومضى التصوف في السير فانقلب أخلاقاً عند أهل السنة والجماعة وفلسفة عند طائفة مزجوه بعلوم اليونان وبحكمة المشارقن الأقدمين والفيدا –الهندية واليوجا وتراث الهند جميعه مزجوا هذا كله في الفلسفة ظاهرها إسلامى وباطنها غير إسلامى (١) .

ومن خصائص هذا النوع من التصوف أنه تصوف غامض ذو لغة اصطلاحية خاصة ويحتاج فهم مسائله إلى جهد كبير وقد ظهر هذا اللون في الفكر الإسلامى بوضوح منذ القرنين السادس والسابع الهجريين، وبسبب هذا اللون من التصوف ممتزجاً بالفلسفة فقد تسرب إليه كثير من الفلسفات الأجنبية المتعددة مثل اليونانية والفارسية والهندية والمسيحية وغير ذلك وهذا لا ينافى أصالته، وممن ذهب إلى هذا النوع من التصوف الشيخ محيى الدين بن عربى وابن الفارض وغيرهما، وقد كان هذا النوع من التصوف من أسباب رفض التصوف عند خصومه ٠

هذا وقد قسم ابن خلدون الحياة الروحية في الإسلام إلى أقسام ثلاثة:–

الزهد – التصوف – التصوف الفلسفى،

والرأى الذى نرجحه أن الزهد نشأ في المجتمع الإسلامى كما ينشأ في كل مجتمع آخر تحت تأثير عوامل نفسية ودينية وسياسية و اقتصادية ونبحث هذه الظاهرة في بيئتها نفسها ونتيجة إلى أصولها النظرية، فكل ظاهرة في مجتمع من المجتمعات إنما تستمد حقيقتها من هذا المجتمع ثم تأتى العوامل الخارجية بلا شك وكذلك الزهد نشأ في المجتمع الإسلامى مستنداً على القرآن والسنة ثم مضى في طريقه إسلامياً ثم اتسع وأصبح علماً على طائفة ولما تكونت الطائفة أو الفرقة نشأ أولاً نزاع بينها وبين طائفة من الفقهاء أخذ الفقهاء بظاهر الشريعةوأخذ الزهاد والسائحون والبكاءون والقصاص بحقيقة ما وراء

(٣) نشأة الفكر الفلسفى جـ٣ ص١٩، ٢٠ د٠ على سامى النشار ٠

الظاهر بالباطن فنشأ نزاع بين الزهاد والفقهاء وتعمق الزهاد في زهدهم وتناولوا القرآن وراء الفهم العقلى فنشأ طريق جديد طريق ذواقة القرآن فاختلفوا ثانياً مع هؤلاء الذين يحكمون العقل في تفسير الأمور أى المتكلمين فوقع النزاع بين الصوفية والمتكلمين ومعنى هذا أن القرآن كان مركز الدائرة تناولته تفسيرات ثلاثة:-

١- التفسير الفقهى ٢- التفسير العقلى ٣- التفسير الذوقى

ثم انتهى التصوف إلى الفلسفة كما انتهى الكلام إليها فرأينا فلاسفة صوفيين متأخرين كما نرى متكلمين أو فلاسفة متكلمين متأخرين وقد اختلف هؤلاء الفلاسفة الصوفيون أيضاً مع الفلاسفة العلقيين حينما تناول العقليون الوجود من ناحية عقلية فبحثوا الوجود من حيث هو وجود بالعقل واتجه فلاسفة الصوفية إلى تجربة صوفية

أولاً ثم حاولوا أن يفسروها فلسفياً أى أن يضعوها في نسق فلسفى، وبينما استمد الأولون من العقل كل فلسفتهم استمد الآخرون من الذوق والإشراف مناهجهم .[١]

والتصوف ((السنى)) انتهى إلى إقامة علم جديد هو علم الأخلاق على يد صوفية أهل السنة بل أكبر شخصية فكرية إسلامية وهو الإمام أبو حامد الغزالى ومع ما احتمل الغزالى من هجمات عنيفة عليه سواء من الفلاسفة –أو من المتكلمين أو من علماء السلف أنفسهم فقد بقى علم الأخلاق الذى أقامه حتى اليوم يسود المجتمع الإسلامى،

كذلك انتهى إلينا نوع من التصوف العجيب – تصوف في نطاق السلف بالمعنى الضيق للسلف، وانتهى هذا إلى مذهب أخلاقى تصوفى بل جمالى أحياناً تنتهى مدارج السالكين في هذا المذهب إلى رؤية الوجه الجميل الوجه

(١) نشأة الفكر الفلسفى جـ٣ ص٣٤، ٣٥ .

الإلهى الرؤية السعيدة المشهورة لدى علماء السلف وهذا ما يسمى بمذهب الحب السلفى مبتدئا بالهروى الأنصارى إلى حد ما والكرامية ومختتماً بابن قيم الجوزية، وكما عاش التصوف السنى على يد أبى حامد الغزالى حتى الآن وصبغ أغلبية المجتمع الإسلامى الحاضر عاش أيضاً التصوف السلفى في مجتمع إسلامى كبير وكماأن كيمياء السعادة للغزالى في غالب بيوت أهل الإسلام في الباكستان والهند وكتاب إحياء علوم الدين في معظم بيوتنا في مصر والمغرب فكذلك كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وهى تحتوى التصوف السلفى ما زالت محفوظة –في بيوت السلف من أهل نجد وكثيرين من أتباع السلف في مصر والشام والعراق والمغرب .[1]

هذا وقد دأب مؤرخوا التصوف إلى تقسيم المراحل التى مر بها ،إلى ثلاث أطوار هى:-

المرحلة الأولى: النشأة والتكوين: والتى تبدأ من القرن الأول الهجرى إلى الثالث

المرحلة الثانية: النهوض والكمال: وتمتد لنهاية القرن السابع الهجرى

المرحلة الثالثة: التدهور والانحطاط: وهى تبدأ من بداية القرن الثامن إلى يومنا هذا .

فالذين جاءوا من الصوفية بعد القرن السابع لا يكادون يضيفون شيئاً جديداً إلى ما قاله المتقدمون ومصنفاتهم لا تكاد تزيد عن أنها اما شروح وملخصات على كتب الأقدمين ومذاهبهم وإما ترديداً لتعاليم السلف وأقواله دون أن يكون في ذلك الترديد شئ من الابتكار أو التجديد .[2]

---

(٢) السابق جـ٣ ص ٣٥

(١) الحياة الروحية في الإسلام ص ١٩٤، ١٩٥ د. محمد مصطفى حلمى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سـ١٩٨٤ م

المبحث الثالث
أصول التصوف الإسلامى وتطوره

الدارس للتصوف الإسلامى أو القارئ لكتب الصوفية غالباً ما يجد نفسه أمام خليط ومزيج عجيب من الآراء بعضها يمثل الإسلام ولا يكاد يخرج عما جاء به القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ، وبعضها لا يكاد يلتقى مع الكتاب والسنة الشريفة المصدرين الموثوق بهما والبعض الآخر عبارة عن أمشاج مختلطة من الإسلام ومن غيره من المذاهب والعقائد والفلسفات الأخرى بل ربما والفلسفات الوثنية المختلفة،

وربما كان للصوفى الواحد أقوال متعددة ومتضاربة أحياناً مما يوقع القارئ فى حيرة ودهشة وهذا ما حدا بالعلماء وبالعامة إلى الاختلاف حول مصدر التصوف الإسلامى هل هو إسلامى ؟ أو شئ دخيل على الإسلام ؟

وما يزال السؤال مطروح حتى الآن وما تزال المعركة قائمة والتى مثّل طرفها الآخر كل من الفقهاء والمحدثين والكلاميين ورفع رايتها الإمام الفقيه أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ وابن تيمية ٧٢٨هـ وابن الجوزى الواعظ ت ٥٩٧هـ والبقاعى ت ٨٨٥هـ قديماً وجمال الدين الأفغانى ت ١٣١٤هـ ومحمد عبده ت ١٣٢٣هـ وابن باديس ت ١٩٤٠م ومحمد إقبال ت ١٩٣٨م حديثاً وغيرهم وما تزال هذه المعركة مستمرة حتى الآن [١].

والحقيقة أن للتصوف الإسلامى – كما لغيره من الكلام والفلسفة وغيرهما – ايجابياته وسلبياته له محاسنه وله مثالبة ، له محاسنه التى بلغت بالمؤمنين إلى درجة الحب الشديد له والثقة فى أهله، وله مثالبه التى بلغت بخصومه إلى درجة التكفير لأهله أو التفسيق لهم فاللتصوف وجه مشرق أخاذ

(١) التصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه جـ ١ ص ٣، ٤ ط الأولى سنة ١٩٩٢ م.

ووجه قاتم معتم وإن كان ذلك لا يعود إلى التصوف الإسلامى الصحيح وإنما إلى الأدعياء أو الحاقدين عليه أو المغالين بشأنه،

لهذا ولغيره نرى من الباحثين من يرى أن التصوف الإسلامى وليد ظروف ومؤثرات داخلية وثمرة من ثمرات الإسلام ونتاج لأفكار المسلمين لم يتأثر بمؤثر خارجى عن الإسلام وبالتالى ينبغى أن تفسر موضوعاته وقضاياه ونظرياته فى ضوء تعاليم القرآن والسنة وهدى الصحابة والتابعين فأصوله إسلامية صرفة ولا يبحث عن مؤثرات خارجية عن الإسلام إلا من لا يفهم التصوف يقول الدكتور عبدالحليم محمود " إن وضع مسألة مصادر التصوف موضح البحث والنظر والدراسة وضع خطأ، لا يفعله ولا يقوم به إلا من لا يفهم التصوف [١]".

فالتصوف عند هؤلاء قد نشأ وتطور فى جو الإسلام وبدأ على يد الرسول صلوات الله وسلامه عليه سلوكاً وعملاً.

وهناك من يرى أن التصوف الإسلامى دخيل على الإسلام وأنه وليد ظروف ومؤثرات خارجية فارسية كانت أو هندية أو يونانية أو نصرانية أو حتى يهودية [٢].

وبالتالى ينبغى أن تفسر ظواهره ونظرياته فى ضوء هذه العقائد والمذاهب يقول ماسينيون " أما دراسة مصادر التصوف فإن الأمر بيننا وبين استكمالها ما يزال بعيداً وقد حار علماء الإسلاميات الأول فى تعليل ذلك الخلاف الكبير في التصوف الإسلامى فى أرقى أدواره وبين مذهب أهل السنة الصحيح لذلك ذهبوا إلى أن التصوف مذهب دخيل فى الإسلام مستمد إما من

(١) مقدمة " المنقذ من الضلال " د. عبدالحليم محمود.

(٢) مقدمة أبو العلا عفيفى لكتاب نيكلسون " فى التصوف الإسلامى وتاريخه "، ص ج، د.

رهبانية الشام وإما من أفلاطونية اليونان الجديدة وإما من زراد دشتية الفرس وإما من فيدا الهنود " (١)

ونرى أن كلاً من الفريقين غير منصف فيما ذهب إليه لأن التصوف الإسلامى كظاهرة دينية روحية لا يمكن أن يكون أثراً لعامل واحد من العوامل التى حاول الباحثون رد التصوف إليها سواء أكانت داخلية أو خارجية من الإسلام أو من غيره كما أنه من غير الممكن أن تكون الحياة الروحية الأولى فى الإسلام وهو ما يطلق عليها التصوف الإسلامى قد تأثر فى طور نشأته بمؤثرات أجنبية عن الإسلام والذى نرجحه أن الحياة الروحية فى الإسلام التى عاشها الرعيل الأول من المسلمين إنما كانت نتيجة ظروف داخلية بعيدة تماماً عن أى مؤثرات أجنبية ثم بعد ذلك تأثر التصوف فى أطواره بمؤثرات أجنبية لنتيجة لاحتكاك بأهل الثقافات الأخرى وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية.

وعلى هذا يمكن تقسيم العوامل التى أثرت فى نشأة التصوف الاسلامى وتطوره إلى قسمين، عوامل داخلية وأخرى خارجية.

أما عن العوامل الداخلية فأهمها:-

أولاً: القرآن الكريم والسنة الشريفة وأحوال الصحابة والتابعين:

كان التصوف عند أول تكوينة العلمى أخلاقاً دينية فمن الطبيعى أن مصدره الأول إسلامياً فقد استمد من القرآن والسنة وأحوال الصحابة وأقوالهم، على أن أحوال الصحابة وأقوالهم لم تكن لتخرج عن نطاق الكتاب والسنة وهذا بيان ذلك

١)القرآن الكريم:

فقد جاء في القرآن كثير من الآيات التى تتعلق بالإيمان بالله وتدعو إليه والإيمان من وجهة نظر الصوفية ليس شعار يرفع أو كلمة فارغة من المعنى والمدلول كما يدعيه بعض الناس قال تعالى " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

(١) الإسلام والتصوف ص ٢٧.

وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ[1] " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهمَ إلى قوله تعالى " أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ[2]"

وفى القرآن أيات تتعلق بتوحيد الله وتنزيهه فمن آيات التوحيد التى يستند بها الصوفيه على أن العبد ينبغى أن يقطع العلائق بغير الله فالخير والشر منه تعالى وحده قال تعالى ((وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ)) [3]

ومن آيات التنزيه قوله تعالى ((وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً)) .[4] وقوله ((لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ))[5]. فالذى يقرأ هذه الآيات وغيرها تنتهى إلى التوحيد الخالص والتنزيه المطلق ويصل إلى الحكمة الصوفيه .[6]

وكذلك فى القرآن آيات تتحدث عن أسماء الجلال و الكمال والعظمة والجمال قال

تعالى ((وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)) .[7]((كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ(٢٧))) [8] . وجميع مقامات الصوفية وأحوالهم التى هى موضوع التصوف أساساً مستندة إلى شواهد من القرآن وسنشير فيما يلى إلى آيات من القرآن التى تستند إليها بعض تلك المقامات والأحوال وذلك على

(١) سورة البقرة الآية ٨
(٢) سورة الأنفال الآيات من ٢– ٤
(٣) سورة المؤمنون الآية رقم ١١٧
(٤) سورة طه الآية ١١٠
(٥) سورة الشورى الآية١١.
(٦) التصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه ط ١ صـ٥٩
(٧) سورة الاعراف ١٨٠
(٨) سورة الرحمن الآيتان ٢٦، ٢٧

سبيل المثال لا الحصر تستند مجاهدة النفس التى هى بداية الطريق إلى الله إلى آيات مثل قوله تعالى ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))[1]

ومقام الزهد يستند عندهم إلى قوله تعالى ((قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى))[2] . قوله : ((وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ))[3] . ومقام التوكل يستند عندهم إلى قوله تعالى ((وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ))[4]

وهناك مقامات أخرى غير ما ذكر ولها شواهد كثيرة ومتعددة من آيات القرآن الكريم . أما الأحوال فمستندة أيضاً إلى القرآن الكريم فهناك مثلاً حال الخوف الذى يستند إلى قوله تعالى . ((يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً))[5]

وحال الرجاء الذى يستند إلى آية مثل قوله تعالى((مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ))[6].

وبعد فكل هذه المعاني وغيرها التى جاء بها القرآن رتبها الصوفية فى صورة مقامات وأحوال، واتخذوها طريقاً إلى الله تعالى يقول العقاد بعد ذكر الآيات القرآنية التى تعتبر أصلاً للتصوف الإسلامى (فالمسلم الذى يقرأ هذه الآيات يجد فيها غناءً عن الأصول الصوفية ولا يفوته إذا اكتفى بها أن ينشىء

(١) سورة العنكبوت ٦٩
(٢) سورة النساء ٧٧
(٣) سورة الحشر ٩
(٤) سورة الطلاق ٣
(٥) سورة السجدة ١٦
(٦) سورة العنكبوت ٥

مدرسة صوفية إسلامية تلتقى بالمدارس الأخرى فى كثيرو تنفصل عنها فى كثير ولكنها لا تنعزل عن لباب التصوف بالطبع والفطرة) [١].

وقد اعترف بهذا العامل حتى المنصفين من المستشرقين مثل ماسينيون والذى يعد بحق من أدق الباحثين فى التصوف الإسلامى يقول ((لقد قام التصوف الإسلامى على أساس التلاوة المستمرة والقراءة الشاملة لهذا النص المعتبر مقدساً ومنه استمد خصائصه)) [٢]

(٢) السنة النبوية المطهرة:

يمكننا التمييز فى حياة الرسول ﷺ بين فترتين حياته قبل أن يبعث رسولاً وحياته بعد البعثة، وفى كل فترة من هاتين الفترتين وجد الصوفية لآنفسهم مصدراً غنياً فيما استمدوه من صنوف العلم وميادين العمل ٠

فقد رأى الصوفية فى حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها أصلاً للتصوف الإسلامى فقبل البعثة عاش رسول الله ﷺ حياة العزلة والتفكر والتدبر وختمت بنزول الوحى عليه عن عائشة رضى الله عنها قالت:أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ٠٠٠ الخ الحديث [٣] ٠

أما عن حياة النبى ﷺ بعد نزول الوحى فكانت أيضا متصفة بالزهد حافلة بالمعانى الروحية فقد كثر اجتهاده وتبتله وكثر قيامة ويروى عن كثرة

---

(١) الفلسفة القرآنية ص ١٥١ أ– عباس العقاد ٠ ومدخل إلى التصوف الإسلامى ص ٤٠: ٤٢ د٠ أبو الوفا التفتازانى ٠

(٢) بحث فى المصطلح الفنى للتصوف الإسلامى جـ٢ ص ١٠٤،١٠٥ط باريس ٤ ٥ ٩ ١ م عن تاريخ التصوف الإسلامى ص ٧ ٤ د عبد الرحمن بدوى ط الكويت ٥ ٧ ٩ ١ م ٠

(٣) عوارف االمعارف ج٢ ص٢٦٦ للسهروردى البغدادى بهامش الإحياء.

تعبده ﷺ أن عائشة رضى الله عنها قالت: لما رأته يقوم الليل حتى تنفط قدماه – لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ (١)

وأما عن إخلاقه ﷺ فقد بلغ فيها الكمال وقد قال الله تعالى عنه " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ " (٢) ولما سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقة قالت: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه " (٣)

ولا يمكننا فى الواقع ان نتقصى هنا جميع أخلاقه ومن أراد زيادة فى هذا الباب فعليه بكتب السيرة النبوية والحديث الشريف أو بالكتب المتخصصة فى ذكر أخلاقه وأحواله ككتاب "الشفاء" للقاضى عياض فهو من نفائس الكتب فى هذا الباب ٠

وأما عن أقوالة فالقارئ للسنة المطهرة يجد فيها كثيرا من الأحاديث التى يستدل بها الصوفية فى كتبهم على مسلكهم وطريقتهم وقد حوت كتبهم كثير من الأحاديث الضعيفة وضعها بعض الأدعياء ويكفينا دليلا على ذلك ما جاء فى كتاب الحلية "لأبى نعيم الاصفهانى و" الإحياء " للإمام الغزالى.

وفى المقابل هناك أحاديث كثيرة صحيحة وقصص واردة فى السنة الصحيحة وفى السيرة النبوية استشهد بها الصوفية وتعتبر أصلاً للتصوف الاسلامى

ومن جملة هذه الأحاديث والقصص

(أ)حديث جبريل المشهور حينما سئل النبى ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجابه الرسول ﷺ عن الإحسان بقوله "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك "(٤)

---

(١) الحديث متفق علية

(٢) سورة القلم ٤

(٣) الحديث

(٤) – الحديث رواه البخارى ومسلم.

(ب) حديث عبد الله بن عباس حينما قال له رسول الله ﷺ "ياغلام إنى أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك .... الحديث [١]

(ج) حديث وابصة حينما قال له النبى ﷺ استفت قلبك البر ما اطمئنت إليه النفس واطمأن إليه القلوب والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وافتوك " [٢]

(د) حديث النعمان بن المنذر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول " إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس " [٣]

وورد عنه أيضاً كثرة الاستغفار والتوبة وكان دائم الشكر وكان ﷺ صابراً محتسباً وكان زاهداً ورعاً وغير ذلك فهذه المعاني السامية والأخلاق الفاضلة والتى تدل على أن تصوف الصوفية وما ينطوى عليه من النزعات الزهدية والمعاني الأخلاقية كالمقامات والأحوال وما يترتب عليها من ثمرات روحية قد وجدت مادته الأولى فى حياة النبي وأخلاقه وأقواله والتى تعتبر عند الصوفية أساساً للتصوف الإسلامى وأساس منهجهم. [٤]

(٣) **حياة الصحابة والتابعين وأحوالهم**:

لقد كانت حياة الصحابة وأقوالهم والتابعين ايضاً منبعاً استقى منه الصوفية لأن حياتهم حافلة بالشئ الكثير من التقوى والزهد والإقبال على الله ولا يستطيع منصف أن يغفل ذلك فلقد سار على هذا الهدى النبوى هذا الرعيل

(١) الحيث رواه الترمذى وقال حسن صحيح.

(٢) الحديث.

(٣) الحديث المتفق عليه.

(٤) مدخل إلى التصوف الإسلامى صـ٤٣: ٤٩ والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومه ج١، ٦٠: ٧٠.

الأول من الصحابة والتابعين وكان الصحابة يرون أحوال رسول الله ﷺ ويسمعون أقواله فكانوا يتابعونه ويقتدون به فى أقواله وأفعاله وأحواله وقد امتدحهم الله تعالى فى قرآنه فقال ((وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)) . (١)

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى علو مكانتهم ومنزلتهم فقال علية الصلاة والسلام ((أصحابي كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم))(٢)

ونحن لا نستطيع هنا أن نذكر كل ما روى عن صحابة الرسول ﷺ من الأقوال والأحوال التى جعلها الصوفية مصدراً لهم فى حياتهم الروحية وحسبنا أن نشير إلى بعض ذلك ومما روى عن أحوالهم إجمالاً قول أبى عتبة الحلوانى ((ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ ؟ أولها: لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الحياة والثانية: كانوا لا يخافون عدواً قلوا أم كثروا والثالثة: لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا وكانوا واثقين برزق الله تعالى)) (٣)

ومن نماذج اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ قول عمر الفاروق حين قبل الحجر الأسود ((والله إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)) (٤)

وممن اشتهر من الصحابة بسلوك الصوفى الحق كل من أبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى وأبو الدرداء وحذيفة بن اليمان وغيرهم ومن جملة ما وعاه أبو ذر من وصايا رسول الله ﷺ قوله ((أوصانى خليلى –يقصد محمداً

(١) سورة التوبة ١٠٠.
(٢) الحديث.
(٣) اللمع ص ١٦٧ للسراج الطوسى
(٤) الحديث رواه البخارى.

ﷺ – بسبع:أمرنى أن أنظر إلى من هو دونى وأن لا أنظر إلى من هو فوقى وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً وأمرنى أن أصل الرحم وإن أدبرت وأمرني أن أقول الحق ولو كان مراً وأمرني أن لا أخاف فى الله لومة لائم وأمرني أن أكثر من ((لاحول ولاقوة إلاّ بالله)) فإنهن كنز من كنوز الجنة)) (١)

وهذا أبو الدرداء كان دائم النظر والفكرة والتأمل وقد روى عنه ((تفكر ساعة خير من قيام ليلة)) (٢)

وقد ورد عنه وعن غيره من الصحابة أقوال مأثورة عن الإخلاص والتقوى والزهد والورع والخوف وترك النفاق والرياء إلى آخره،

وقد علق الدكتور محمد الصادق عرجون على هذا بقوله: وهكذا بدأ التصوف فى الإسلام ٠ كما بينا – عملاً وسلوكاً وأخلاقاً وإن لم يطلق عليه هذا الاسم المستحدث آنذاك)) (٣)

هذا وقد تربى جيل التابعين على ما تربى عليه جيل الصحابة الكرام فكان من سماتهم أنهم يعملون كثيراً ولا يتكلمون إلا قليلاً وقد امتدحهم رسول الله ﷺ فى قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ﴾ (٤)

واشتهر الكثير منهم بالزهد والورع والتقوى والإخلاص ولهم فى ذلك أقوال وحكم ذكرها صاحب كتاب الحلية واللمع وغيرهم.

---

(١) الطبقات الكبرى ج١ صـ٢٩ ٢ لابن سعد والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومةج ١، ص ٨٢.

(٢) طبقات ابن سعد ج١، ٣٩٢

(٣) التصوف فى الإسلام ص ٧٩ ، ٨٠ د٠ محمد الصادق عرجون ٠

(٤) الحديث

فلم يعرفوا للتصوف علماً خاصاً يميزه عن علمهم بالكتاب والسنة ولم يعرفوا له نظاماً خاصاً يميزه عن نظامهم وسيرتهم التى درجوا عليها بين صفوف الصحابة الكرام ولهذا يرى الصوفية أنهم أوفر الناس حظاً فى الاقتداء برسول الله ﷺ وأحقهم إحياء لسنته)) (١)

ثانياً: الحياة المادية التى عاشها المسلمون بعد الفتوحات الإسلامية ٠

يحدثنا التاريخ أن المسلمين فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين فتحت عليهم الدنيا وأقبلت فكانت نعم الفتنة لهم ولغيرهم واهتم البعض منهم بجمع صنوف المال ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال ﴿ فاتقوا الدنيا ﴾ (٢)٠

فى حين عاش رسول الله ﷺ ومعه جمع من الصحابة حياة التقشف والزهد وظهر جلياً ذلك حين وفاة الرسول ﷺ الذى مات ودرعه مرهون عند يهودى، وهذا أبو بكر يلقى الله تعالى وليس عنده إلا دينار واحد وهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين – الذى قال عنه رسول الله ﷺ ((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)) (٣)

يوصى ولده أن يؤدى عنه دينه عند موته وأما الإمام على بن أبى طالب فقد مات ولم يترك من بعده سوى ثلاثمائة درهم لأهله)) (٤)

ومن هنا ظهرت فئة آثروا حياة الزهد والعباد والتقشف وتجردوا للعبادة.

---

(١) عوارف المعارف ص٢٩٩ للسهرودى.

(٢) الحديث

(٣) الحديث

(٤) مروج الذهب حـ١ ص ٢٨٩ للمسعودى والعقد الفريد جـ٣ ص ١٢٤ لابن عبد ربه والتصوف الإسلامى بين أنصاره وخصومة حـ ١ صـ٨٩ ٠

وزيادة النوافل وعلى أيديهم ظهرت الحياة الروحية فى الإسلام كرد فعل لحياة الترف التى عاشها المسلمون.

يقول العلامة ابن خلدون:- ((فلما فشا الإقبال على الدنيا ..... اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)) (١)

وقد أطلق الناس عليهم أول الأمر اسم العباد والزهاد والنساك والبكائين ثم أطلق عليهم فيما بعد اسم الصوفية كما أطلق على المنهج الذى اتبعوه وألزموا أنفسهم به – فى عبادتهم وسلوكهم ونظام حياتهم اسم التصوف وقد ظهر التصوف أول ما ظهر فى بعض المدن التى اشتهرت بالترف والنعيم كالبصرة وبغداد والكوفة ودمشق ومصر.

ثالثاً: الأحداث الفكرية والسياسية والاجتماعية فى الوسط الإسلامى:

كان للأحداث التاريخية والفكرية والسياسية والاجتماعية أثرها البالغ فى نشأة التصوف الإسلامى فالتاريخ يحدثنا عن ما عاناه المسلمون منذ اللحظة الأولى من وفاة الرسول ﷺ وما تعرضت إليه الأمة من محن وشدائد سواء من أبنائها أومن أعدائها فمن أبناءها ظهر الخلاف واحتدم من لحظة وفاة الرسول ﷺ حول وفاته وحول الخلافة ثم ما حدث من أحداث بيعة أبى بكر الصديق، ومن أعدائها كفتنة عثمان ودور عبدالله ابن سبأ اليهودى فيها وما تعرض له المسلمون فى معركتى الجمل وصفين وغيرهما وما حدث بعد ذلك لآل بيت رسول ﷺ وما تعرضوا له من أذى وتعذيب كذلك كان للتيار السياسى وما آل إليه نظام الحكم فى الإسلام آنذاك آثار سلبية حيث ظهر الظلم وانتشر وكثر طغيان الولاة والأمراء وظهر بينهم الإسراف والترف واللهو، كذلك كان لتعدد المذاهب والفرق وما دب بينهما من خلاف وتعصب وصل إلى حد التكفير وقد

(١) المقدمة ص ٣٩٨.

كان لكل تيار من هذه التيارات رد فعل فبسبب ذلك ظهرت مجموعة من المسلمين أرادوا أن يعتزلوا هذه التيارات جميعها فلم يجدوا مأوى لهم سوى الحياة الروحية وحياة الزهد والعبادة والتقشف وظهر من بينهم كثير من الزهاد والعباد والنساك . (١)

رابعاً: اهتمام علماء الفقه والتفسير والكلام بالظاهر:

حظى علم الفقه والتفسير وعلم الكلام وغير ذلك من علوم الرسوم باهتمام شديد منذ القرن الأول والثانى ثم كان تدوين هذه العلوم فيما يتصل بعلم الشريعة من عبادات ومعاملات وكان علماء الفقه يهتمون بالظاهر أو يأخذون الأحكام على ظواهرها وبالتالى جاء الصوفية فاهتموا بروح العبادات وعكفوا على بيان الحلال والحرام واهتموا بإصلاح الباطن والقلب فاهتموا بتربية الأخلاق وتهذيب السلوك والزهد والإيثار والمجاهدة وكان شعارهم ما نطق به بعضهم وهو قوله ((الخروج من كل خلق دنى والدخول فى كل خلق سنى)) ولخصوا منهجهم فى كلمتين اثنين فقالو التصوف " تخلية وتحلية "

وبالنسبة لعلماء التفسير والحديث والذين أجهدوا أنفسهم فى بيان المعنى ليس هو غاية الادراك أو منتهى المراد لله ورسوله من وراء اللفظ أو النص بل هناك معنى أدق يرمز اليه ظاهر اللفظ لكن لايعلمه إلاّ الصفوة المختارة من أهل الله وخاصته ومن ثم يصبح منهج الصوفية استكمالاً لمنهج علماء التفسير والحديث حيث جاءوا يبحثون عن باطن النص وروحه هذا كان فعل متقدمى الصوفية دون كثير من المتأخرين والذين لم يلتزموا بحدود النص.

(١) والتصوف الإسلامى حـ١ ص ٩٩ ،١٠٠والحلية جـ٢ ص ١٥٣ ط القاهرة سـ١٩٣٢ م.

وكذلك الأمر بالنسبة لعلماء الكلام ومنهجهم فى العقيدة حيث نظر الصوفية إلى مسلك المتكلمين فوجدوا أنهم أهل جدل ومناظرة ويدعون أنهم يدافعون عن الدين حتى وصل بهم الأمر إلى حد التكفير فجاء أهل التصوف فرأوا أن الجدل يحول بين القلب وبين صفائه ونقائه وطهره ورأوا كذلك أن منهج المتكلمين فى الوصول إلى المعرفة والحقيقة العقل والذى لايصل إلى ما وراء عالم الشهادة وأثبتوا أن المعرفة الحقة لا تأتى عن طريق العقل أو الحس فقط وإنما تنبع من القلب بعد المجاهدة والخلوة والذكر[1] ((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)) [2]

العوامل الخارجية لنشأة التصوف الإسلامى:

بدأ التصوف الإسلامى فى أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث ثم تسللت إليه من خارج الإسلام بعض المفاهيم من اليهودية والنصرانية واليونانية وغيرها وبالتالى أخذ التصوف اتجاهاً آخر شأنه فى ذلك شأن كثير من العلوم كعلم الكلام والتفسير والحديث وغيرها ولقد كان لهذه المؤثرات عوامل من أهمها:

١- الفتوحات الإسلامية:فلقد دخل المسلمون كثير من البلاد وكانت لهذه البلاد ديانات وحضارات ومذاهب وفلسفات تأثر بها المسلمون كثيراً ٠

٢- دخول بعض أصحاب الديانات الأخرى فى الإسلام: وكانت لهم ثقافات ومذاهب وأديان فأحدثوا تأثيرا ملحوظاً فى الفكر الإسلامى والمسلمين.

(١) الإسلام والتصوف ص٤٣ وإحياء علوم الدين ج١ صـ٢٦

(٢) سورة العنكبوت ٦٩

٣- الحركات السرية المعادية للإسلام والتى أنتهجها أعداؤه للكيد للإسلام وأهله ومحاولة طمس معالمه وتشويه صورته وصورة أصحابه ومعتنقيه ٠

٤- حركة الترجمة فى القرن الثالث الهجرى: أيام المأمون وأشتغال المسلمين بعلوم الفلسفة والمنطق والأخلاق وغيرها ٠ وفيما يلى نتحدث عن أهم المؤثرات الأجنبية التى تأثر بها التصوف الإسلامى:

١ـ الأثر اليهودى:ـ

ظهر هذا الأثر جلياً على اليهود عموماً سواء من دخل منهم فى الإسلام كعبد الله بن سبأ أو من بقى منهم على يهوديته فقد أثاروا كثيراً من الشبه والأفكار الوافدة ونشروا كثيرا من المبادئ والتى لاتتفق مع الإسلام وخاصة السبئية الأولى فعن طريق اليهود نجد أثرهم فى نظرية تناسخ الجزء الإلهى فى الأئمة وتسلسل النور المحمدى من لدن محمد إلى آدم إلى الأنبياء والمرسلين ذلك التسلسل الذى مضى مع الأئمة المعصومين أو الأقطاب الصوفية دون انقطاع فإذا فحصنا الإسرائيليات فى علم الحديث فإننا نجد أن ما وضعوه كان يمس التشبيه والتجسيم حتى مسائل ونظريات الاتحاد ٠[١]

وكذلك قولهم بالتأويل وتقسيم الشريعة إلى ظاهر وباطن وكان أثره لدى الصوفية القول بالشريعة والحقيقية ٠

٢ـ الأثر النصرانى:

ذهب فريق من الباحثين إلى أن ثمة عناصر أخرى روحية يمكن أن ترد أصولها إلى أصول نصرانية ومؤيد هذا الفريق بما كان يوجد من صلات

(١) الملل والنحل حـ١ ص ١٢٤ للشهر ستانى طبع القاهرة ١٩٦٣ ،ونشأة الفكر الفلسفى للدكتور على سامى النشار حـ٣ ص ٩١ وأضواء على التصوف ص ١١٦ د طلعت غنام ط عالم الكتب ٠

بين العرب والنصارى سواء فى الجاهلية أو فى الإسلام وبما يلاحظ من أوجه الشبه الكثيرة بين حياة الزهاد والصوفية وتعاليمهم وفنونهم فى الرياضة والخلوة والتعبد وبين ما يقابل هذا كله فى حياة المسيح وأقواله وأحوال الرهبان والقسس وطريقهم فى العبادة واللباس فقد تأثر الصوفية بما كان عليه الرهبان من لبس المسوح والصوف والخرق وكذلك ما حفلت به كتب الصوفيه بالكثير من أقوال السيد المسيح وآثاره والدليل على ذلك ما روى عن السيد المسيح عليه السلام: انه مرّ على طائفة من العباد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال من أنتم ؟ فقالوا: نحن عباد قال لأى شئ تعبدتم ؟ قالوا خوفنا الله من النار فخفنا منها، فقال حق على الله أن يؤمنكم ما خفتم ثم جاوزهم ومرّ بآخرين أشد عبادة منهم فقال لأى شىء تعبدتم ؟ قالوا شوقنا الله إلى الجنات وماأعد فيها لأوليائه فنحن نرجو ذلك فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر بأخرين يتعبدون فقال من أنتم ؟ قالوا نحن المحبون لله لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته ولكن حباً له وتعظيماً لجلاله فقال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أُمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم ٠ (١)

فهذه القصة يمكن أن ينظر إليها بعض الباحثين على أنها مصدر للنظرية الصوفية الكبرى ((فى الحب الإلهى)) والذى أشتهر به كل من عمر بن الفارض والسيدة رابعة العدوية ٠

٣ـ الأثر اليونانى:ـ

من أشهر المذاهب والفلسفات اليونانية التى تأثر بها التصوف الإسلامى تصوف اليونان وخاصة عند أفلاطون وفيثاغورث وكذلك ظهر جلياً من خلال نظرية الفيض عند الأفلاطونية المحدثة والمعرفة الإشراقية عند أفلوطين والتى

(١) الحياة الروحية فى الإسلام ص ٤٥ د٠ مصطفى حلمى وقوت القلوب حـ ٣ ص ، ٨٢ لأبى طالب المكى والرسالة القشيرية ص ٦٦ ط القاهرة والتصوف بين أنصاره وخصومه حـ١ ص ١٢١ ، ١٢٢ ٠

تأثر بها ابن عربى والسهروردى وابن سبعين وغيرهم ونظرية الفناء ووحدة الوجود عند الصوفية أساسها أفلوطين و الأفلاطونية المحدثة، وكذلك نظرية الكلمة والعلة والمعلول والفيض والوحدة والكثرة والعقل الأول والعقل الكلى فكل أولئك وغيره اصطلاحات فلسفية استمدها الصوفية من أفلاطون وأرسطو والرواقية والأفلاطونية الجديدة ٠

٤ـ المذاهب الهندية والفارسية:

لما كان الباعث الأساسى فى الصوفية الهندية هو شوق الإنسان إلى الخلاص الذى تمذهب فى المسيحية وانتقل إلى الدوائر الإسلامية تأثر به التصوف الإسلامى٠

فى مذاهب الحلاج وابن عربى والسهروردى وغيرهم فى مسألة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وبصفة عامة فأديان الهند القديمة وكذلك المذاهب الفارسية كالبوذية والكنفشيوسيه وغيرها قد أثرت فى التصوف الإسلامى فقد وجد فى أديان الهند القديمة ما يسمى بالنرفانا وهى تشبه إلى حد كبير مسألة الخلاص، وقد أفاض البيرونى فى دقة وصف الفلسفة الدينية الهندية واهتم بالتناسخ فى الدوائر الصوفية فى الإسلام ذلك الذى فلسفته المدرسة الإشراقية نقلاً عن الغنوص الشرقى القديم الممتزج بالغنوص الغربى قديمه وحديثه ٠[١]

وبالنسبة لمن ذهب إلى تأثر التصوف الاسلامى بالمصدر الفارسى يستدل على ذلك بما يحدثنا به التاريخ من وجود صلات اجتماعية وثقافية ودينية بين الفرس والعرب فى مختلف العصور كما يستدل بأن فريقاً كبيراً من شيوخ الصوفية وأعلامها الذين ظهروا فى العهود الأولى للتصوف كانوا من الفرس ولقد كان الأثر الفارسى والثقافات الفارسية واضحاً فى الثقافات

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ص ١٦ ،٢٤ ، ٢٧، ٣٢، للبيرونى ٠

الإسلامية وخاصة المترجمة منها، لقد كان لكثير من صوفية الفرس آثار ومعالم واضحة فى التصوف الإسلامى لا يمكن أن تمحى من تاريخ الحياة الروحية فى الإسلام من أمثال معروف الكرخى وأبو يزيد البسطامى ٠

ونخلص إلى: أنه بالفعل هناك عوامل خارجية لنشأة التصوف الإسلامى تتبلور فى أهم المؤثرات الأجنبية التى تأثر بها التصوف الإسلامى ومن الخطأ ألبين أن يرجع البعض نشأة التصوف الإسلامى إلى هذه العوامل الخارجية فقط ويرفض التصوف ويقف منه موقف العداء بحجة أنه وليد ظروف خارجية وهذا تجن على الحقيقة لأن التصوف كغيره من العلوم الأخرى تأثر فى فترة من فتراته وعند بعض من أصحابه بهذه المؤثرات وهذا لا ينفى أصالته والحقيقة أن جميع ما ذكر من عوامل خارجية لنشأة التصوف ينبغى أن يكون محل نظر من الباحث المنصف فهذه الأدلة لاتعدوا أن تكون وجوه شبه بين ما وجد لدى الصوفية وما هو عند غيرهم من اليهود أوالنصارى أو اليونان أو الهنود أو الفرس،

أما فيما يتصل بالقضايا والأفكار كالمقامات والأحوال من التوكل والخوف والمحبة وغير ذلك فهى من صلب الإسلام فهو يدعو إليها وقد وجدت عند الرعيل الأول للإسلام

خاتمة

بعد استعراضنا للتصوف الإسلامى فى كل مراحله يمكننا استخلاص هذه النتائج:-

١ – أن هناك حياة روحية فى الإسلام وجدت فى عصر مبكر من حياة المسلمين الأولى انطلقت من نقطة بدء صحيحة وسليمة عقلاً وشرعاً ونشأة على أساس من الكتاب والسنة ٠

٢- تطور التصوف الإسلامى فى نهاية القرن الثانى الهجرى وبداية الثالث على أساس من الحياة الروحية الأولى مع تسرب بعض المؤثرات الأجنبية على الإسلام نتيجة للعوامل التى تحدثنا عنها.

٤- إن ما يؤخذ على التصوف السنى فى بعض مراحله المختلفة لا يعدو أن يكون خطأ فى الاجتهاد دون خروج عن جادة الطريق وبعضه حالات فردية لا تمثل ظاهرة خروج على الإسلام مع ملاحظة أن بعض مما نسب إلى هؤلاء دخيل عليهم ٠

ثبت بأهم المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب السنة الشريفة

ثالثاً : المراجع البشرية :-

١-إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ٠ دار إحياء الكتب العربية ودار الحديث بدون تاريخ وطبعة الشعب ٠

٢-أصول التصوف ٠ د عبد الله حسن زروق ٠ مكتبة الزهراء ط الأولى سـ١٤١٨ هـ سـ١٩٩٧م ٠

٣-أضواء على التصوف د طلعت غنام ٠ الناشر عالم الكتب ٠

٤-الإسلام والتصوف تأليف ماسينيون ومصطفى عبد الرازق ٠ مطبوعات الشعب سـ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ٠

٥-التصوف الإسلامى بين انصاره وخصومه د. عبد الرحمن المراكبى ط الأولى سـ١٩٩٢م

٦-التصوف فى الإسلام ((منابعه وأطواره)) د محمد الصادق عرجون ط مكتبة الكليات الأزهرية سـ١٩٦٧ م ٠

٧-التعرف لمذهب أهل التصوف ٠ لأبى بكر محمد بن اسحاق الكلاباذى دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى سـ١٤١٣ هـ سـ١٩٩٣ هـ ط القاهرة.

٨-التعريفات ٠ للسيد الشريف الجرجانى ٠ مطبعة الحلبى ٠ القاهرة سـ١٣٥٧ هـ -سـ١٩٣٨م .

٩-الحياة الروحية فى الإسلام ٠ د محمد مصطفى حلمى ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب سـ ١٩٨٤ م الطبعة الثانية ٠

١٠–الرسالة القشيرية ٠ لعبد الكريم بن هوزان القشيرى النيسابورى ٠ بتحقيق معروف زريق وعلى عبد الحميد ٠ دار الخير ط الثانية سـ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م

١١–الطبقات الكبرى ٠ للإمام الشعرانى٠ طبعة المكتبة الشعبية ، طبعة صبيح

١٢–العقيدة والشريعة فى الإسلام ٠ جولد زيهر ٠ الطبعة الثانية سـ١٩٥٩ م ٠

١٣–الفتوحات المكية ٠ للشيخ ابن عربى ٠ تعليق د أبو العلا عفيفى ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب مهرجان القراءة للجميع سـ١٩٩٤ م٠ وط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة بدون تاريخ

١٤–الفلسفة الصوفية فى الإسلام ٠ د عبد القادر محمود ط القاهرة سـ١٩٦٧ م ٠ ودار الفكر العربى ١٩٦٦ م ٠

١٥–الفلسفة القرآنية ٠ أ– عباس محمود العقاد ٠ دار الهلال – القاهرة سـ١٩٦٢ م ٠

١٦–الكامل فى اللغة والأدب ٠ للمبرد ٠ ط القاهرة سـ١٩٥٦ م ٠

١٧–اللمع لأبى نصر السراج الطوسى ٠ بتحقيق دكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر سـ ١٣٨٠ هـ سـ١٩٦٠ م، ط القاهرة سـ١٩٥٧ م

١٨–المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب٠ عبد الرازق أسود ٠ط بيروت سـ١٤٠٠هـ٠

١٩–المقدمة ٠ لابن خلدون ٠ تحقيق د على عبد الواحد وافى ط الأولى سـ ١٣٧٩ هـ سـ١٩٦٠م .

٢٠–الملل والنحل . للشهرستانى . طبع القاهرة سـ ١٩٦٣ م .
٢١–تاريخ التصوف الإسلامى تأليف د عبد الرحمن بدوى الناشر وكالة المطبوعات الكويت
٢٢–تذكرة الأولياء ٠ لفريد الدين العطار ٠ نشر نيكلسون سـ١٩٠٥ م
٢٣–حركة التصوف الإسلامى ٠ د محمد ياسر شرف ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب سـ١٩٨٦ م ٠
٢٤–حقائق عن التصوف فى الإسلام ٠ د محمد العدل الباز ٠ مكتبة نور الإسلام للطباعة المنصورة ٠
٢٥–حكمة الإشراق – للسهروردى المقتول ٠ طبع طهران سـ ١٣١٦ هـ
٢٦–سيرة الغزالى وأقوال المتقدمين فيه ((جمعو تحقيق عبد الكريم العثمان ٠ دار الفكر بدمشق ٠
٢٧–طبقات الصوفية ٠ لأبى عبد الرحمن السلمى تحقيق الأستاذ نور الدين شريبه مكتبة الخانجى ط ٢ سـ١٩٦٩ م
٢٨–عوارف المعارف بهامش الأحياء للهروروى البغدادى ٠ القاهرة سـ١٣٣٤ هـ
٢٩–فى التصوف الإسلامى وتاريخه ٠ لينكلسون ٠ نشر ماسينون باريس سـ١٩١٣ ترجمة أبو العلا عفيفى لجنة التأليف والترجمة والنشر سـ١٣٨٨ هـ سـ١٩٦٩م .
٣٠–لطائف المنن والأخلاق ٠ للإمام الشعرانى مخطوط

٣١-مدخل إلى التصوف الإسلامى در أبو الوزفا التفتازانى . ط دار الثقافة للنشر والتوزيع سـ١٩٩١.

٣٢-مشكلات التصوف المعاصر د. سعد الدين صالخ ط الأول . سنة ١٩٩٠

٣٣-منازل السائرين ٠ لأبى اسماعيل الهروى ٠ طبع البابى الحلبى ٠ القاهرة سـ١٢٢٨هـ٠

٣٤-نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام للدكتور على سامى النشار ط ٩ دار المعارف بالقاهرة

٣٥-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٠ للشيخ أحمد المقرى التلمسانى تحقيق د إحسان عباس ٠ طبع دار صادر بيروت ٠